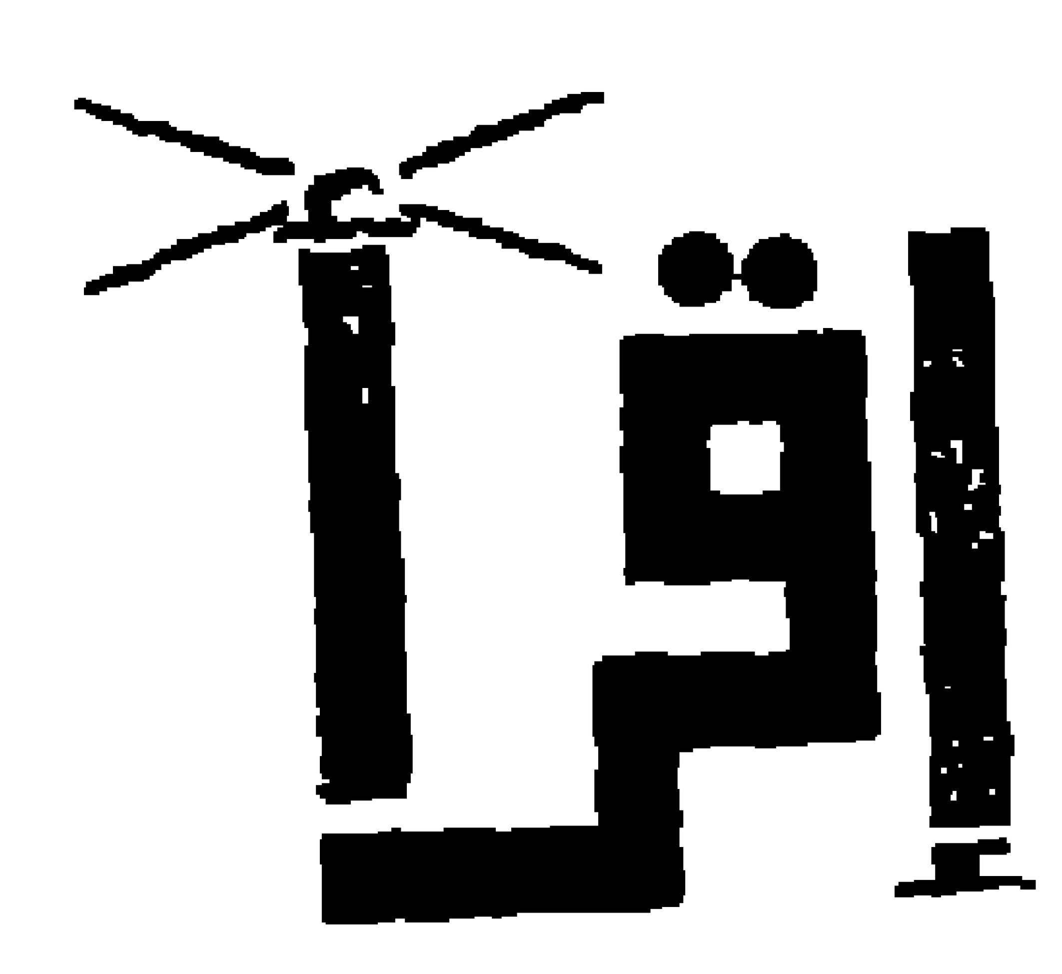
اقرأ

فتحي رضوان

موسى تؤلف كتاباً

ومسرحيات أخرى

لبنان ١٠٠ ق . ل	سوريا ١٠٠ ق . س	الأردن ١٠٠ ف . أ
العراق – الكويت ١٠٠ ف . ع	الخليج العربي ١٥٠ ف	السعودية ٢ ريال
عدن ٣,٥ شلن	السودان ١٢٠ مليما	ليبيا ١٥ قرشاً
تونس ٢٠٠ مليم	الجزائر ٢,٢٥ دينار	المغرب ٢,٢٥ درهم



تصدر فى أول كل شهر

رئيس التحرير : عادل الغضبان





فتحي رضوان

مومس تؤلف كتابا

ومسرحيات أخرى

اقرأ ٣٣٩

دار المعارف بمصر

اقرأ ٣٣٩ – مارس سنة ١٩٧١

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

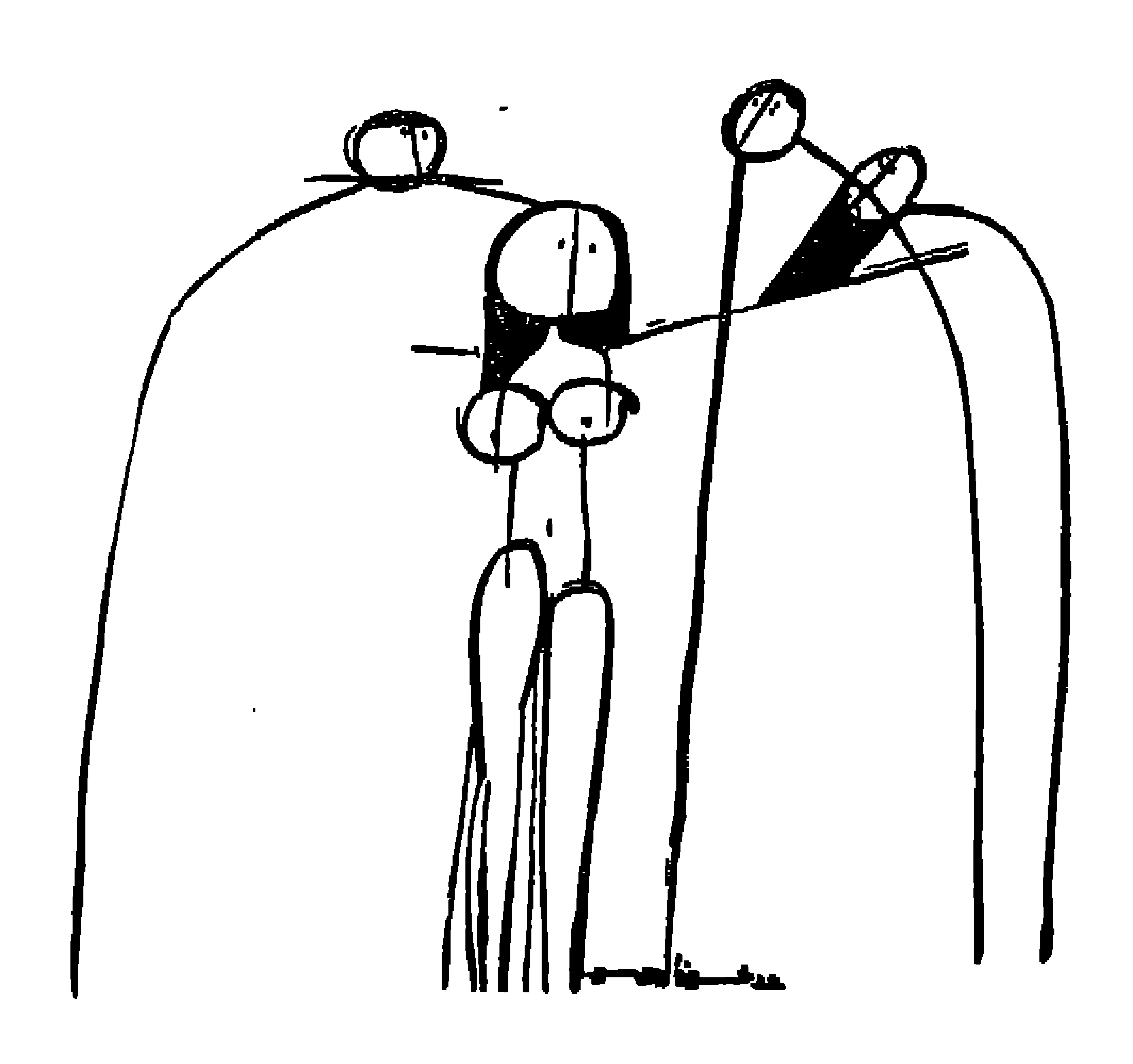
مومس تؤلف كتاب

مسرحية من فصل واح

الموس تجاوزت الخمسين، وقاربت الستين، ولكنها لاتز
تحتفظ بوجه لطيف ، وعينين ضاحكتين جذابتين لم تفقدا
بريقهما ، قوامها يفوح منه عطر شباب صامد يأبى أ
يستسلم لكر الأيام ومرها. لم تحاول إخفاء المشيب الذى لاح
نذره فى شعر أسود فاحم ، هنا وهناك دون أن تخف
الأصباغ .

مع المومس وصيفتها التى قاسمتها العيش سنين طويلة
الوصيفة ضئيلة الجسم ، يبدو على مظهرها بعض البلاهة
والطيبة .

المومس والوصيفة فى حجرة الحياة اليومية ، وهى حج
الأثاث فيها ثمين وعتيق ، ويدل على عز قديم .



المشهد الأول

الوصيفة ــ المومس

الوصيفة : قلت لك المحضرون قادمون ليحجزوا
(تشير بيدها إلى أثاث الحجرة) .
المومس : وهل لاحظت أن الصمم أصابنى ؟ لقد سمعت . . .
الوصيفة : سمعت ؟ إذا كنت قد سمعت فلماذا لا تتحركين ؟
المرأة : تحركت .
الوصيفة : ما الذى فعلته ، لتمنعى هذا البلاء ؟
المرأة : (يبدو عليها التأفف) أنت تعرفين .
الوصيفة : (محتجة) أعرف ؟ ماذا أعرف ؟ تقصدين هذا الإعلان ؟
المرأة : بالضبط .
الوصيفة : ماذا أصاب عقلك يا سيدتى ؟ المحضرون يحجزون على أثاث بيتك ، ويعدّون العدة لبيعه بالمزاد العلنى ، وأنت تؤلفين كتاباً ؟
المرأة : المحضرون يحجزون لأى غرض ؟ النقود طبعاً .
الوصيفة : طبعاً النقود .
المرأة : ومن أين لنا النقود ؟ الكتاب سيأتى لنا بها .
الوصيفة : تعلنين عن كتاب ، والكتاب يأتى لنا بنقود ؟
المرأة : طبعاً . . . أنت معذورة ، لأن هذا شىء جديد بالنسبة لك . لقد علمتك أموراً كثيرة ، علمتك كيف تستقبلين الضيوف حين أريد ، وكيف تصرفينهم عند اللزوم . . .

ولكن الكتاب شيء لم تسمعي به من قبل .

الوصيفة : ولا يوجد أحد يصدق أن الكتاب يمكن أن يمنع المحضرين من الحجز أو أن الكتاب يعطي أحداً نقوداً .

المرأة : (تقف وتنظر إلى الشارع من خلف زجاج النافذة) اسمعي . . . هناك مكتبة . . . دكان لبيع الكتب . لماذا يأتي الناس لهذا الدكان ؟ ماذا يفعلون فيه ؟ يشترون الكتب ، أي يدفعون لصاحب الكتاب نقوداً ، كتابي أيضاً سيشتريه الناس . سيعطوننا نقوداً ، سيضعونها في أيدينا . . . سيأتي المحضرون ، سيقولون أعطونا جنيهات وإلا بعنا . . . سنقول لهم خذوا . . . سيندهشون ، فقد كان كل شيء ينذر بأننا لن نجد ما ندفعه لهم . وفجأة سيجدون جنيهات ، ثم يرجعون من حيث أتوا . . .

الوصيفة : (تسمع مأخوذة) أيمكن أن يتحقق هذا ؟

المرأة : لم لا ؟ يمكن طبعاً . . . الأمر يتوقف على نوع الكتاب : أجيد هو فيطلبه الناس ، أم سيئ فلا يطلبونه ؟

الوصيفة : رأسي بدأ يدور . . . ولكن متى يحدث هذا كله ؟

المرأة : حالا . . .

الوصيفة : وأين هذا الكتاب ؟

المرأة : سأؤلفه . . .

الوصيفة : ستفعلين ماذا ؟

المرأة : ماذا أصاب أذنك ؟ أقول سأؤلفه . . . سأؤلفه .

الوصيفة : ستؤلفينه . . . يعني . . . يعني . . . أنا لا أفهم .

المرأة : ليس ضرورياً أن تفهمي . . . سأؤلف الكتاب أي سأصنعه .

الوصيفة : متى يا سيدتى ؟ أرجوك . . . ألفيه . . . ألفيه بسرعة . . . افعلى أى شىء ، وليس ضروريًّا أن أفهم . . . ولكن المهم ألا يأتى هؤلاء الغيلان ، فيحملوا هذا الأثاث العزيز على ، ويتركوننا على البلاط . أنا ياسيدتى خائفة ... خائفة . ويزيدنى خوفًا أن أراك هادئة . . . كأن شيئًا لم يحدث (تبكى) .

المرأة : (تربت على يدها) أنت تبكين ؟ (محتجة) لا . . . لا . . لقد بللت الدموع صدر « فستانك » الجديد . . . هكذا ستتلفين هذا الثوب الجميل بسرعة . . . لا حاجة إلى الدموع . . . كل شىء سيتحسن .

الوصيفة : (تلقى بنفسها فى أحضان سيدتها التى تضع يدها على كتف الوصيفة) لا . . . لا . . . لا تفعلى هذا . . . ولا داعى للقلق ، وأقسم لك . . . الكتاب سيعطينا كل ما نطلب وأكثر . . . سترين بنفسك . . .

(جرس الباب يدق . . . تنتبه الوصيفة وتجمد فى مكانها ولا تتحرك) .

المرأة : ألا تسمعين الجرس . . . جرس الباب يدق . . .

الوصيفة : (ذاهلة) إنه يدق يا سيدتى . . . ولقد قلت لك إنهم قادمون .

المرأة : (فى برود وعدم اكتراث) من هم ؟ قومى وافتحى الباب ولا تتلكئى .

الوصيفة : (تهز رأسها فى هم باد) هم قادمون وهى كأنها غير موجودة ، كما تحب . . . كما تحب . . .

(تتجه نحو الباب فى تباطؤ أول الأمر ثم تهرول . فى حين تخرج المومس مرآة من حقيبة كانت قريبة منها ، ثم تتأمل وجهها وتكمل زينتها وتبتسم) .

الوصيفة : (تعود مهرولة ومضطربة) يا سيدتى . . . سيدتى . . .

المرأة : (فى نفس البرود وفى يدها المرآة) هل حضروا ؟

الوصيفة : (فى اضطرابها وحيرتها) من هم ؟ . . . إن على الباب رجلا ضخماً عظيماً . . . يقول إنه صديق قديم لك .

المرأة : (وهى تخفى ابتسامة) ألم تشاهديه من قبل (وتعود إلى النظر فى المرآة) .

الوصيفة : لا أذكره . . . بل لا أذكر أنى رأيت أحداً مثله . يا له من رجل عظيم . . . وغنى ومهم !

المرأة : (تعيد المرآة إلى الحقيبة فى بطء) لا تضيعى الوقت . . . أدخليه . . . (تتوقف) اسمعى . . . ألم تطلبى منه بطاقته ؟ ألم يخبرك باسمه ؟

الوصيفة : أنا ؟ كيف أجرؤ . . . حينما ترينه ستحكمين بنفسك . . . إن له هيبه مذهلة .

(تذهب الوصيفة وهى تكاد تنكفئ على وجهها . وتعود وخلفها رجل طويل عريض ، وخط الشيب فوديه فزانه وزاده جمالا ووقاراً . يمسك بيده عصاً محلاة بكرة من ذهب فى أعلاها . . . وعلى صدره سلسلة ساعة ذهبية ثقيلة) .
(كل ما فيه وقور . . . صوت عميق هادئ . . . ثباته وثقته تفوحان من حركاته وكلماته . . .) .

المشهد الثانى

المومس — الزائر الأول

السيد (الزائر الأول) : عمى صباحًا يا سيدتى . . .
المرأة : (فى هدوء مبالغ فيه) نعمت صباحًا يا سيدى . . .
السيد : (مصطنعًا الحيرة) هل جئت فى موعد غير مناسب ؟ !
(يخرج ساعة من جيبه) إنها قاربت منتصف النهار .
المرأة : لا عليك يا سيدى . . . على كل حال لك عذر ، فرقم تليفونى ليس فى الدليل .
السيد : آه . . . أعترف لك أنى لم أفكر لحظة فى أن أخطر مقدمًا عن حضورى . . . فأنا أحس أنى ربما كنت زائراً غير مرغوب فيه .
المرأة : (لا ترد) .
السيد : (مضطربًا لصمتها) لعلك أدركت القصد من زيارتى . . . هذا الإعلان (يبسط أمامه صحيفة يومية ويجرى فيها نظره) أين ذهب ؟ أين . . . أين ؟ آه هذا هو . . .
المرأة : (لا تتكلم) .
السيد : (أكثر اضطرابًا) — الإعلان عن كتابك . . . ياله من إعلان مغر ومخيف فى الوقت نفسه ، إذا سمحت لى أن أتمادى فى الاجتراء .
المرأة : تفضل خذ حريتك . . .
السيد : إنه فضل عظيم . . . أما أنه مغر ، فلأنه الكتاب الأول من

نوعه . . . قصة حياة ... قصة حياة . . . (لا يجرؤ على إكمال العبارة) .

المرأة : (مكملة وفى برود) قصة حياة مومس بقلمها .

السيد : (كأنما اهتز) هذا هو. قصة حياة (يتوقف) بقلمها . . . شيء جديد . . . شيء لا عهد لأحد به ! . . . أما أنه مخيف . . . فلأن كل من كان له شرف صداقتك ، عليه أن يتوقع شيئاً يهزه ويهز حياته من الأعماق .

المرأة : أهنئك يا سيدى على دخولك إلى الموضوع هكذا بسرعة . . .

السيد : (مرتبكاً بحق) هل وقاحتى زادت عن الحد ؟

المرأة : وقاحتك ؟ ! . . . أى تلطف من السيد المحترم . . . إنك على كل حال تتكلم مع مومس بلغت من الوقاحة حد التحدث عن نفسها إلى المجتمع ، وفى كتاب . (فى نبرة ساخرة ــ وكأنما تؤدى جملة على المسرح) شيء غير مسبوق فعلا . . . شيء مخيف بلا شك .

السيد : على كل حال . . . ما جئت لأزعجك . . . وإنما جئت لغرض محدود ، ومتواضع . (يغير لهجته) محدود جداً ومتواضع جداً .

المرأة : أنا تحت أمرك يا سيدى (تصفق ، فتدخل الوصيفة مأخوذة) فنجاناً من القهوة للسيد . . . أم تريد شراباً خفيفاً قبل الغداء ؟

السيد : لا تشغلى نفسك ؟ . . . إن مجرد مقابلتك لى شرف عظيم ومتعة . . . ومتعة . . . يا للزمن ! . . . إنه يجرى سريعاً دون أن نحس . . . ولو لم يفعل ذلك لما كان جديراً باسمه . (بعد نحنحة) هل فرغت من الكتاب ؟

المرأة : (ببرود متعمد) فى المطبعة !

السيد : (قافزاً من مكانه) فى المطبعة ؟

المرأة : (مسرورة لفزعه) ولماذا الفزع ؟

السيد : (يعود إلى هدوئه متكلفاً هذه المرة) أحقاً ، ليس هناك داع للفزع ؟ . . . لكن أخشى أن أكون قد تأخرت . . . (يتكلم بسرعة كأنه يريد أن يلحق بشىء ما) أنا جئت لأرجوك أن تغفلى ذكرى من كتابك . . . هذا هو الرجاء الذى دفعنى إلى هذه الزيارة بغير موعد وبغير إذن .

المرأة : هل أملك هذا ؟ .

السيد : (فزعاً وفظاً) تملكين ؟ . . . من يملك غيرك ؟ إنه كتابك . . .

المرأة : ولكنى أروى تاريخاً . . .

السيد : (مهاجماً) تاريخاً ؟ (بصوت أعلى) تقولين تاريخاً ؟ هل هذا تاريخ ؟

المرأة : (متحرشة) إنه تاريخنا نحن . . . تاريخ أناس ضعفاء صغار مجهولين ، ولكنه تاريخ على كل حال .

السيد : ليكن (كأنما قرر شيئاً) أنا جئت مستعداً لتنفيذ طلباتك .

المرأة : (ضاحكة بسخرية ضحكة رنانة) طلباتى ؟ أى طلبات يا سيدى ؟ من قال لك إن لى طلبات . . . وهل كنت أعلم يا سيدى أين أنت الآن ؟ . . . وما هو دورك فى المجتمع ؟

السيد : (متضايقاً ومباهياً فى الوقت نفسه) دورى أكبر مما تتصورين . . . أكبر بكثير (يشير بيده إلى أعلى) . . .

المرأة : تهانى يا سيدى . . . لكم أحب لأصدقائى الذين عرفتهم

صغاراً يصارعون الحظ السيئ ، أن يصبحوا ناجحين وذوى نفوذ .

السيد : (فى غلظة وراغباً فى الحسم) أشكرك . . . وأرجوك ألا تطيلى هذا الموقف .

المرأة : (متنمرة وكأنما تتهيأ للدخول فى قتال) أى موقف هذا الذى تتحدث عنه ؟ (بعد توقف) لاحظ أنك ضيفى . . . وأن على أن أكون لطيفة مع الضيوف . لا تخرجنى عن حدود واجبى .

السيد : (معتذراً مدركاً الخطر) أعتذر . . . أعتذر . . . لاحظى أن الموقف ليس عادياً . . . وقدّرى ارتباكى . . . إنى لم أعرف موقفاً كهذا من قبل .

المرأة : حسناً . . . أنت تطلب يا سيدى ألا أذكر شيئاً عنك . . . ومع أن هذا سيفسد من سياق الكتاب . . . ، فقد كان لك دور كبير فى حياتى ، ومع أنه مخالف لأمانة التاريخ . . . فإنى تقديراً لظروفك سأفعل ما فى وسعى ، لوقف الطبع وحذف الفقرات التى تخصك .

السيد : (وقد زاد فزعه) . . . ستفعلين ما فى وسعك . . . لا . . . لا . . . بحق السماء . . . هذا لا يكفى . . .

المرأة : ما الذى تطلبه منى إذاً يا سيدى ؟

السيد : الذى أطلبه (يقف من شدة العصبية) وعداً حاسماً مطلقاً بأن يسحب الكتاب من المطبعة ، وأن يحذف منه كل ما يتعلق بى . . . .

المرأة : باسمك . . .

السيد : (وقد ركبه الفزع) ، لا . . . أرجوك . . . اسمى ووصفى . .

كل شيء . . . كأنك لم ترى وجهى قط .
المرأة : لم أر وجهك ! . . . أنت تطلب شيئاً كبيراً .
السيد : ليكن كثيراً أو قليلا . . . أنا مستعد أن أتحمل كل النفقات والتعويضات ، وليعفنا التاريخ من أمانته هذه المرة . . . متى كان التاريخ يا سيدتى أميناً ، حتى يصمم على تدمير حياة رجل غير حياته منذ زمن بعيد .
المرأة : لقد أثرت فضولى . . . صحيح أنك غيرت حياتك ؟ ؟
السيد : (مندفعاً) تماماً . . .
المرأة : لم تعد تعرف أمثالى . . .
السيد : (مرتبكاً وشاعراً بالخجل) ماذا أقول ؟ لماذا تضعيننى فى هذا الموقف ؟ . . . إن التعرف إليك شرف . . .
المرأة : (ضاحكة ضحكة مفاجئة ورنانة) شرف (يعاودها الضحك) شرف . . . ومع ذلك فإنك أوشكت أن تجن لمجرد تسجيل هذا الشرف فى كتاب . . . لا يدرى أحد أيجد من يقرؤه أم يلقى به فى المخازن ؟
السيد : لا . . . إنه سيقرأ ، وأقسم . . .
المرأة : هذا إذا لم أحذف فصولا أخرى منه .
السيد : (غير واع لما يقول) ، ولماذا تحذفين ؟ . . . أبقيه على حاله .
المرأة : هذا ما تنصحنى به حقاً ؟
السيد : طبعاً .
المرأة : وإذا جاء صديق آخر ، وطلب نفس طلبك . . .
السيد : (مندفعاً بغير وعى) . . . لا تسمعى . . . لا تلتفتى . . .
المرأة : هذه نصيحة من ذهب . . . سأحترمها تماماً . . .

السيد : (متهالكاً) ماذا أقول ؟ إننى أتخبط ... افعلى ما يحلو لك ...

المرأة : (تشده ناحيتها) يالك من طفل ! ... إناك أنت ... أنت لم تتغير ... مشغول بنفسك ... متناقض ... لا تخف ... لا تخف ... لقد تذكرتك الآن تماماً ... شاباً ناحلا خجولا مضطرباً قلقاً ، بلا مأوى ، لا يجد قوت يومه ، ويحب بكل قلبه وبكل جسده ...

السيد : (يخرج منديلا ويمسح عرقه فتقع منه عدة أوراق بنكنوت لا يلتفت إليها ، تكون الوصيفة على عتبة الباب تراقب مايجرى عن قرب ، فما تكاد أوراق البنكنوت تسقط حتى تجرى نحو السيد فى لهفة) .

الوصيفة : سيدى ... سيدى ...

السيد : (منهوكاً متعباً ، يلتفت إليها مذهولا) ماذا ؟ ... ماذا هنالك ؟

الوصيفة : (تلتقط أوراق البنكنوت من الأرض وتقدمها) لقد وقع هذا منك .

السيد : (ينظر وكأنه لا يفهم ماذا تقول) وقع هذا منى ؟ ... آه ... اجمعيه ... اجمعيه ، وقدميه لسيدتك إنها نقودها ...

المرأة : هذه نقودى ؟

السيد : (وقد أفاق مما غشيه قليلا) نعم ، هى نقودك ، لقد تأخرت فى إحضارها . فاقبلى عذرى ...

الوصيفة : (فى فرح تقدم النقود لسيدتها) خذى يا سيدتى . خذى .

المرأة : دعيها هناك على المائدة ، ودعينا وحدنا قليلا ...

الوصيفة : (تخرج وهى تتلفت وراءها فى ابتسامة عريضة جداً) سمعاً وطاعة ، سمعاً وطاعة .

المرأة : (فى نغمة حزينة نوعاً ما) ما هذا ؟

السيد : هذه نفقات الصفحات التى سترفع من الكتاب ، هذا أقل ما أقدمه ؛ إنه بعض ما على . إن مستقبلى كله بين يديك ... وما أقدمه اليوم هو شىء أحضرته على عجل .

المرأة : إنك يا سيدى تقدم لى رشوة .

السيد : (مختطفاً يدها فى لهفة ثم يرفعها إلى فمه فى امتنان حقيقى) لقد كنت أحبك دائماً . . .

المرأة : (ضاحكة بنفس الحزن الذى شملها) دائماً ؟ . . . هل تعلم أن آخر زيارة منك لى كانت من . . .

السيد : (مطرقاً) أنا أعلم . . . منذ سنوات . . . ولكن على الرغم من كل شىء . . . بقى حبك فى قلبى . . . أنا كنت اتقى حكم المجتمع . . . إنه لا يرحم . . . إنك لا تعرفينه كما أعرفه . . . كما عرفته بعد ذلك . . .

المرأة : صحيح . . . صفه لى . . . إن كل من أعرفه يحدثنى عن المجتمع وفرائصه ترتعد . . .

السيد : إنه غول . . . له ألف لسان يلسع بها ، وألف قبضة يبطش بها ، وألف وجه يقابل به الناس . . . إنه موجود وغير موجود .

المرأة : (كأنما تزيح كابوساً بيدها) أشكرك . . . لقد أتعبت نفسك على كل حال بالنسبة لى.. علاقتى بك كانت ماضياً وانتهى . . . لقد قبلت يا سيدى رشوتك . . . أنا أسميها

باسمها ، فلا تعترض أرجوك . . . أنت تنسى أننى مومس . . . وأننى وحدى فى هذا المجتمع العريض التى تمارس الرذيلة ، وتسميها باسمها . . . أما أنتم جميعاً ففضلاء . . . اللصوص أمناء ، والجبناء شجعان . . . والمتفعون مضحون ، ولست ثائرة على حظى . . . قبلت الرشوة . . . أنت أديتها ، فامض من هذا الباب ، ولا تنظر إلى الخلف . . فإنكم جميعاً تخافون من هذا الغول الذى تسمونه مجتمعاً ، أما أنا فلا أعرفه . ولا أخشاه .

السيد : (يقف مرتبكاً ولا يدرى ماذا يفعل ، ثم يتجه نحو يدها ليقبلها فتسحبها منه باشمئزاز) لا . . . لا تقبل يدى . . . إن المجتمع الذى لا يرحم قد يراك . لقد قمت بمهمتك على أحسن وجه . . . اطمئن ، لن أكتب حرفاً واحداً عنك فى كتابى . (السيد يقف ويهم بالانصراف ، ثم يتردد ، ثم يتجه نحوها ثم يسير خطوتين نحو الباب ، ثم يتوقف ، وينظر نحوها وأخيراً يندفع نحو الباب كالسهم . تدخل الوصيفة فوراً ناحية النقود فتجمعها بيديها) .

الوصيفة : يا سيدتى . . . كل هذا . . .

المرأة : نعم . . . كل هذا . . .

(يدق الجرس طويلا ، فتذهل الوصيفة كما فعلت فى المرة السابقة . ثم تنظر إلى سيدتها) .

المرأة : ألا تسمعين جرس الباب ؟
الوصيفة : إنه يدق للمرة الثانية فى أقل من ساعة . . . ماذا حدث ؟ . . أيكونون قد حضروا . . .
المرأة : اذهبى وانظرى . . .

* * *

المشهد الثانى

المرأة — والضيف الثانى

الوصيفة تجرى نحو الباب .
ولا تلبث حتى تعود ، ووراءها شاب متأنق غاية الأناقة ، ولكنها أناقة صارخة . يظهر من كم سترته منديل أبيض رقيق . ويمشى فى خلاعة ويتكلم بطريقة متكلفة مقززة . !

الضيف الثانى : (ينحنى انحناءة مسرفة). صباح الخير يا سيدتى وعذراً لقدومى من غير موعد .
المرأة : أهلا يا سيدى . . . أنا فى خدمتك . . .
الضيف : هل تسمحين لى بأن أقبل يديك شكراً إذ سمحت أن تستقبلينى على الرغم من قلة ذوقى الصارخة . .
المرأة : عفواً يا سيدى . . . تفضل . . . خذ مقعدك . . .
الضيف (يخرج من كمه المنديل ويمسح به شفتيه بحركات غاية فى

التكلف) هل تسمحين لى أن أستغل كرمك . فأقدم لك نفسي .

المرأة : حقاً إننى أحاول أن أتذكر متى كان لى شرف رؤيتك آخر مرة .

الضيف : (ضاحكاً) لم يكن لى أنا هذا الشرف قط . . . هذه أول مرة يقع فيها نظرك على .

المرأة : آه . . .

الضيف : هذا حق . . . هذه أول مرة أطرق فيها بابك . . . هل تسمحين لى أن أدخن .

(يخرج سيجارة من علبة ذهبية ويضعها فى مبسم ذهبى ، فتصفق المرأة ، فتدخل الوصيفة) .

المرأة : قدمى للسيد السجائر .

الضيف : يا له من ظرف لا يوصف – (يرد سيجارته إلى علبته الذهبية ويأخذ سيجارة من العلبة التى قدمتها الوصيفة) سجائر معطرة . . . وأى عطر . . . كل شىء هنا معطر وأنيق ومذهل . سيدتى دعينى مرة أخرى أعبر لك عن إعجابى بذوقك المصفى .

المرأة : يا له من لطف منك أنت !

الضيف : هذا تفضل . . .

المرأة : هل لى أن أعرف أية خدمة أستطيع أن أقدمها للسيد الكريم . . .

الضيف : أوه . . . أوه . . . ما هذا الكرم . . . يا سيدتى لا أدرى كيف أبدأ الحديث .

المرأة : لعله الكتاب ؟

الضيف : (كأنما أنقذ) هو هذا . هو بالضبط . . . يا له من ذكاء !

المرأة : (وهى ترفع حاجبيها فى دهشة) ولكننى أؤكد للسيد أنى لم أذكر عنه حرفاً واحداً .

الضيف : (مندفعاً) هذا لا شك فيه . . . فأنا لم يكن لى شرف التعرف على السيدة . لم أكن سعيداً ولا محظوظاً قط فى حياتى .

المرأة : (وقد ملت المقدمات) إذاً ما هو المطلوب بالضبط ؟

الضيف : (مرتبكاً) المطلوب . . . المطلوب . كيف أبدأ الكلام ؟

المرأة : ابدأه كما يحلو لك . وهون عليك يا سيدى ، فإنى قد وطنت النفس على أن أسمع أى شىء ، وكل شىء ومن كل شخص بسبب هذا الكتاب .

الضيف : يا لها من سياسة حكيمة ! . . . إنها عين الحكمة . . . إنها سماحة فى الواقع . وليست سياسة .

المرأة : وإذا أردنا أن ننتفع بهذه السياسة فماذا أنت قائل فعلا ؟

الضيف : ماذا أنا قائل ؟ ماذا أنا قائل ؟ هذا هو السؤال الذى يتجه إلى الموضوع فى الصميم (يحك رأسه بيده ثم يخرج المنديل من كمه مرة أخرى ، ويمسح شفتيه برقاعة فاقعة) أقول على سبيل المثال . . . على سبيل المثال ، هل الكتاب انتهى طبعه .

المرأة : نعم : ولا ... (ثم تسكت) .

المرأة : لقد انتهى فى الواقع وهو فى المطبعة ، ولكنى أملك سحبه

فى أى وقت وحذف ما أشاء منه .

الضيف : (شبه مصدوم) حذف فقط .

المرأة : هذا ما يطلب منى عادة .

الضيف : ألا يمكن . . . على سبيل المثال . . . على سبيل المثال فقط ، الإضافة أيضاً . . .

المرأة : الإضافة أيضاً ، هذا يتوقف على ما نريد إضافته .

الضيف : (متهللا) حسناً . . . الأمور الآن أحسن. . . إذا قلنا على سبيل المثال . . . على سبيل المثال فقط ... إنك نسيت الحديث عن شخص بالذات ، شخص مهم ، وأردنا أن نستدرك ذلك بإضافة فصل جيد مكتوب بقلم بارع ، أفيستحيل ذلك ؟

المرأة : (ساخرة) كيف يستحيل أن نضيف فصلا ممتعاً بقلم بارع إلى كتاب هو باكورة مؤلفاتى ؟ !

الضيف : (مصفقاً بأطراف أصابعه) جميل . جميل ، غاية فى الجمال (بعد توقف قليل) وقرارك لا يتغير مهما كان شأن هذا الشخص أو مقامه أو مركزه ؟

المرأة : بالعكس ، كلما كان مقامه أعلى ، كانت الرغبة فى الإضافة أعظم .

الضيف : دعنى يا سيدتى أعبر عن إعجابى الشديد بهذا الذكاء . بهذه اللماحية ! حقاً كيف يكون هذا الكتاب التاريخى كاملا من غير أن يضم الحديث عن العظماء الذين غيروا التاريخ ؟

المرأة : تقصد تاريخى أنا ؟

الضيف : (متردداً) لا . . . أقصد التاريخ كله . . . تاريخك ، هو

تاريخ بلادنا .

المرأة : لا . . . هذه مبالغة ، وإن كانت مبالغة تقطر ظرفاً .

الضيف : الظرف ظرفك أنت . . . (يخرج من جيبه فصلا مكتوباً فيسقط معه شيك) .

الضيف : هذا هو الفصل ، وستعرفين من قراءته اسم البطل الذى يدور حوله . . . اقرئيه على مهل ،ضميه إلى الكتاب ،تسدى يداً للتاريخ . . . التاريخ العام .

(تدخل الوصيفة منطلقة إلى الشيك ، وترفعه ، وتنظر فيه ، ويهولها الرقم المكتوب فيه فتكاد تصفر) .

الوصيفة : يا سيدى . . . هذا وقع منك . . .

الضيف : (متظاهراً بأن وقوعه لم يكن مقصوداً) منى أنا ؟ متى ؟

الوصيفة : الآن .

الضيف : أظن أن هذا شيك السيدة — قدميه لها .

(تشغل المومس بالنظر إلى فصل الكتاب . ثم تجرى بعينها بسرعة وتصدر عنها أصوات دهشة واستغراب مثل آه . مهول . عظيم . أهو هذا الشخص ؟ الوصيفة تقدم الشيك لسيدتها) .

المرأة : (تمد يدها بتثاقل وتأخذ الشيك) آه شيك بألف جنيه لحامله . . . لقد كنت مشغولة بقراءة فصلك . . .

(تتوقف لحظة وتنظر إلى الضيف) هذا الشيك لى ، أأنت متأكد ؟

السيد : طبعاً . طبعاً . . .

المرأة : عجيبة . . . متى وقع منى ؟

السيد : (لا يرد ، ويكتفى برفع كتفه كأنما يتساءل) .

المرأة : (تعود إلى قراءة الفصل وتقرأ قليلا ثم تضحك ضحكة رنانة) حقاً إنك حريص على تسجيل التاريخ بأمانة .

السيد : (ينحنى انحناءة كبيرة حتى كأنه يريد أن يلمس الأرض بجبهته) إن التاريخ لن ينسى لك هذه اليد . . . أستودعك الله .

(يرفع أنامل يدها برقة إلى شفتيه ويقبلها قبلة خفيفة ، ثم يتجه إلى الباب وهو يشد قامته ويسير وكأنه يرقص . . . توصله الوصيفة إلى الباب . . . ثم تعود إلى سيدتها) .

الوصيفة : سيدتى . . . سيدتى . . . شيك لحامله بألف جنيه .

المرأة : (تزيح الشيك بعيداً عنها على المنضدة المجاورة) يا عبيطة ! . هؤلاء يحبون التاريخ حباً عظيماً . ماذا كان يحدث لو خرج كتابى دون أن أتحدث عن هذا الرجل العظيم . . . أنا أيضا أحب التاريخ . . . التاريخ بأمانة .

(يدق جرس الباب بشدة . تنصت الوصيفة مذهولة ، ثم تجمد فى مكانها لحظة ، ثم تهز رأسها علامة الاستغراب ، ثم تمضى إلى الباب ، وظهرها يدل على السرور والدهشة والمرح . وبعد قليل تعود أدراجها وهى تلهث كأنما قطعت شوطاً بعيداً) .

الوصيفة : سيدتى . . . سيدتى . . .

المرأة : (فى هدوء وبرود) ماذا أصابك ؟ . ماذا جرى ؟ . . .

الوصيفة : ضيف جديد . . . زائر ثالث . . . ماذا جرى للناس هذا اليوم ؟

المرأة : أى زائر ؟ عن أى زائر تتحدثين ؟! .

الوصيفة : رجل يا سيدتى لم أر مثله ، يلبس رداء أسود ، وله لحية سوداء وفى يده سبحة سوداء ، سواد فى سواد فى سواد . . . وأى صوت أجش ، وأى نظرة نفاذة ! . . . لقد اخترقت نظراته صدرى . . .

المرأة : أدخليه على عجل . . .

الوصيفة : إنى أخشى عليك منه . . .

المرأة : أتستبقين الرجل فى الخارج كل هذا الوقت ؟ ماذا أصاب عقلك ؟ دعيه يدخل . . .

المشهد الثالث

المومس ورجل الدين

رجل طويل عريض ، ثابت الخطوة ، يلبس رداءً فضفاضاً يتكلم بتؤدة ، برغم مظهره الوقور القاتم ، صوته لطيف . ذكى محاور ، مناور)

السيد : أخشى أن تكون زيارتى لك يا ابنتى زيارة ثقيلة .

المرأة : (تقف فى أدب ، وترخى أهدابها فوق عيونها فى حياء) ، على العكس يا سيدى . . . إنها زيارة مرحب بها .

السيد : (يمد يده فتهوى عليها تقبلها فيدعها لها فتعود إلى تقبيلها) دعينى أتأمل وجهك فى النور . . . أوه . . . يا له من وجه

طفلة بريئة ماذا أرى ؟ إنى ألمح دموعاً . . . أهى دموع حقاً .

المرأة : (لا تتكلم) .

السيد : ما دام فى العيون دموع ، فى القلب نور الله ، لا بأس من الدموع . . . قطرات من القلب ، تغسله ، وتجعله أصفى وأنقى ، اجلسى يا ابنتى ، اجلسى وتمالكى نفسك، لأستطيع أن أتبادل معك كلمتين .

المرأة : (تمسح بأطراف أناملها دموعاً تحدرت من عينيها فوق وجنتيها) تفضل يا سيدى . . .

السيد : لماذا أقدمت على فعل هذا ؟ ما دمت بكل هذه الطيبة ، واللطف و . . . (يداعب بأطراف أنامله أسفل ذقنها) .

المرأة : (لا تجيب) .

السيد : لا . . . لا . . . يجب أن تردى . . . يجب أن تتكلمى ، ولا تطرقى برأسك هكذا .

المرأة : كان لا بد لى أن أفعل . . .

السيد : (بصوت عال قليلا) لا بد ؟ من أين جاءت « لا بد » هذه ؟ من الذى ألجأك إلى ذلك ؟

المرأة : كل حياتى . . .

السيد : كل حياتك ؟ أقسم برب السماء أنى لا أكاد أفهمك . أكل حياتك دفعت بك إلى أن تؤلفى كتاباً تنشريه على الناس . أين ستر الله ؟ كيف تزيحين ستر الله عنك وعن الذين عرفوك . . ؟

المرأة : (بصوت فيه عتاب وحزم) يا سيدى ، أتتحدث معى أنا عن ستر الله ؟ ! أنا يا سيدى ، امرأة بلا حرمة . أنا كما

تعلم بغ . . .

السيد : (بصوت هادر) لاتنطق الكلمة . لماذا اليأس من رحمة الله؟ من يدريك أنك أقرب إلى الله من رجل دين . مني أيضًا . .

المرأة : (بعد تأمل طويل فى وجهه) أيمكن أن يكون ذلك ؟ ولماذا يقبلنى الله فى رحمته ، وقد عشت حياتى مع الرذيلة أقتات منها وأشرب ، وأدعو الناس إليها ، وأغرقهم فى بحارها ؟ !

السيد : (يرفع يديه إلى أعلى علامة احتجاج صادق) رذيلة وبحار . . . من الذى وضع على لسانك كل هذا الكلام الغريب . . . أيتها الطفلة الصغيرة خفقى عن نفسك . . . إن رحمة الله أوسع مما تتصورين . . .

المرأة : حسنًا ، ولماذا تضيق رحمة الله الواسعة بكتاب صغير . إذا كانت الرذيلة نفسها تغفر ، فالحديث عنها ، أحق بالغفران يا سيدى . . .

السيد : لا . . . لا . . . لا تجادلينى بهذا الأسلوب . . . إن الجدل هو أخبث حبائل الشيطان . . . دعى عقلك جانبًا ، اهربى منه ، كونى مع قلبك . . . أن نخطئ شيء ، وأن نباهي بالخطأ ونصفه للناس شيء آخر . . .

المرأة : (مأخوذة) أباهى بالخطأ ، حاشاى أن أفعل . . . أنا أعذب نفسى . . . أحرقها علنًا ، عسى أن يتقبلنى الله بحق بين نعاجه البريئة .

السيد : هذا أحسن . . . ولكن الله لا يحب من يرفض ستره !

المرأة : بحق الله لا تتحدث عن الستر . لقد عشت فى الفضيحة ، حتى لم أعد أفهم ما معنى كلمة ستر . أنا وحدى ومثيلاتى ، محرومات من حق النفاق وشرفه . كل الناس أفاضل ، وكل

النساء عفيفات . كل اللصوص أمناء . كل الزوجات شريفات إلا نحن دمغت جباهنا بميسم العار . . . وبهذا أخذنا من الحرية نصيباً لم يتمتع به أحد سوانا . . . لقد كان ذلك امتيازاً يا سيدى ، تفضل به المجتمع ، فمن حقه علينا أن نرد له الجميل . هل نكون بغايا وجاحدات أيضاً ؟

السيد : (متألم بحق) هذه أنة قلب جريح . من حقه أن يسمع . . . قولى يا ابنتى ما شئت . قولى . . . (تنحدر على خده دمعتان) .

المرأة : (متجمدة ومتصلبة) أتبكى يا سيدى ؟

السيد : ليتنى أستطيع ، فهذا موقف يحلو فيه البكاء . . .

المرأة : ابك – إذاً – يا سيدى . . . لأن بكاءك هو جواز مرور كتابى . لماذا تبكى أنت وحدك . . . من حق المجتمع كله رجاله ونسائه أن يقرأ قصة حياتى وأن يرى فى مرآتها نفسه . . لا بد أن تعرف كل فتاة عفيفة لماذا ألقى بنا إلى كلاب المجتمع تنهشنا وتتلمظ بلحمنا وعظمنا . . .

السيد : لا تضيعى ثواب آلامك بالانتقام . . . لا تبددى تجربتك بالرغبة فى التعذيب . . .

المرأة : أنا لست يا سيدى مريم المجدلية . . . إنما أنا امرأة ضعيفة ركلت وركلت حتى لم تعد تحس بألم الركلة . فأصبحت أقوى من الجميع . . . رأت الأقوياء عرايا . . . والفضلاء كذابين . . . ورأيت كيف يدير جنيه واحد رأس أناس يتقلبون فى ستر الله ، ويتحدثون عن الفضيلة ويخطبون على منابرها . يا سيدى لا تَحُلْ بينى وبين عمل طيب سيباركه الله . إن هذا هو سبيلى إلى مغفرة الإله العظيم . . .

إنه قلبي يدلني وقلبي لا يخطئ . . .

السيد : حذار الغرور. هذه نغمة غرور قاتلة، تواضعي يا ابنتي . . تواضعي إنك لن تعلمي الناس شيئاً . وما لك أنت والأقوياء والفضلاء والأغنياء ؟ . . . ما لك والجنيه الذي يدير الرأس ؟ . . . دعي هؤلاء لله يدبر شئونهم عقاباً ومتاباً. اقبلي حظك برضا . . . توبي إليه في خضوع . . .

المرأة : وهل قرأت كتابي حتى تحكم عليه أنه لم يكتب بأسلوب الخانعة الخاضعة التي لا تريد أن تؤدب ولا أن تعلم . . . قصة ساذجة بسيطة . . . حتى الرغبة في الانتقام لم تتسرب إليها . . . ستضحك يا سيدي حين تقرأ الكتاب كما لم تضحك قط . . . فالمأساة لا تصل إلى أعلى مراتبها إلا حينما تكون ضحكاً يهز القلب . . .

السيد : (يدني جبهتها منه ويطبع عليها قبلة) ما أذكاك وما أبرعك، وما ألطفك ! . إنك شيطانة صغيرة بحق . . .

المرأة : هل أعجبتك يا سيدي ؟

السيد : أعجبتني فقط . . . إنك تهزينني من الأعماق . . .

المرأة : ومع ذلك لقد جئت إلي متأخراً ١٥ عاماً . . .

السيد : أنا أعرف . . . هذا واضح . . . ولكني دائماً أجيء متأخراً . . .

المرأة : ومن أين عرفت أنك تأخرت هكذا كثيراً ؟

السيد : (ضاحكاً) هذا اللطف كله . . . هذه الحيوية كلها . . . ولا أعرف ؟ !

المرأة : هل بقي في عيني بريق ؟

السيد : إنه ساطع .

المرأة : وهل تشم عبيراً ؟ .
السيد : إنه يدير الرأس كما لا تديره ألوف الجنيهات . . .
المرأة : (وهى تختنق بالدموع) قل لى يا سيدى إنى لم أعد عجوزاً بعد . . .
(تلقى بنفسها فى أحضانه فيتلقاها بذراعيه) .
السيد : عجوز ؟ ماذا تقولين وأنت أغريتنى . لا بكاء . . . لا بكاء ، لنعرف كيف نتكلم .
المرأة : (تبتعد عنه) وهل من الضرورى أن نتكلم . لقد تكلم الناس كثيراً . . .
السيد : ومع ذلك – لا بد أن يستمروا فى الكلام . سيظلون يتكلمون . . . ومن يدرى لعلهم يتكلمون فى قبورهم . معاتبة وجدالا وثرثرة . . .
المرأة : (ضاحكة ضحكة مفاجئة) أما عن نفسى فلن أدع ناكراً ونكيراً يأخذان منى حقاً أو باطلا . . .
السيد : (يبتسم) واضح . . . واضح . . .
المرأة : وستكون مرافعتى معدة ومكتوبة . . .
السيد : كتبتها من الآن ؟
المرأة : بل نشرتها فى كتاب . . . هذه هى مرافعتى يا سيدى . . .
السيد : لن ينشر هذا الكتاب . . .
المرأة : لقد خرج الأمر من يدى . . . لقد جئت متأخراً كعادتك . .
السيد : (واجماً بحق) تقولين صدقاً ؟ !
المرأة : (تهز رأسها وقد زمت شفتيها ولا تتكلم) .
السيد : لا . . . لا . . . قولى شيئاً آخر . . . لا يمكن . . . إن خطر هذا الكتاب أشد هولاً من الوباء . وأعظم ضرراً

من زلزال . . .

المرأة : إلى هذا الحد !

السيد : (فى جفوة وغلظة) نعم إلى هذا الحد ... وسأحرض كل سلطة لتمنعه وأنا أنذرك . . . إن نشر هذا الكتاب معناه الخسران فى الدنيا والآخرة . . .

المرأة : (وقد استثارها التحدى ، فخرجت قليلا من لطفها ، وإن بقيت محتفظة بضبط نفسها) عجيب يا سيدى . أنت تتكلم عن الدنيا . . . دع الدنيا لنا . . .

السيد : (وقد أخرجه الغضب عن القدرة على تتبع كلامها) كفى عن اللعب بالألفاظ . . . هذا خسران فى الدنيا والآخرة . . . أنا أعنى ما أقول . . .

المرأة : (متحدية بصراحة) . . . وأنا أقول للسيد المحترم . . . إن الدنيا من شأنى ، وأنا أعرف بها منك . . . أما الآخرة فلقد أخرجتها من حسابى ، منذ أصبحت طريدة المجتمع المتدين المهذب الوقور . . .

السيد : إذا كانت دنياك تهمك فاعلمى أننى أستطيع أن أدمرها فوق رأسك .

المرة : إذن هذه هى الحقيقة ، الدنيا هى التى تهم . . . هى التى تهمك .

السيد : نعم . . . لن ندعك تلطخين أثواب الناس بالوحل ، وتهيلين على رؤوسهم التراب .

المرأة : (تنفجر بالغضب) من هم هؤلاء الناس الذين سألطخ أثوابهم بالوحل ، وأهيل فوق رؤوسهم التراب ؟ ! إنهم أناس عرفوا مومساً بغياً وعاشوا معها ، وأنفقوا عليها ، وأنفقت

عليهم ، واستمدوا منها النفوذ والسلطان ، وجعلوا من بيتها مركزاً لنفوذهم وسلطانهم ، هؤلاء هم الأبرياء الذين جشمت نفساك مؤونة الدخول إلى هذا البيت من أجلهم . إنهم رجال دين عندك ، وعند الجهة التي تنتمي إليها . أما عندى فهم رجال . مجرد رجال كبقية البشر لهم أهواء الآدميين وعيوبهم . وقد آن أن نسقط هذه الحواجز الموهومة التي صنعت لتخيف الناس بعضهم من بعض ، وبيدى الضعيفة المجربة (تنظر فى يدها وكأنا تستثير غيظ الضيف) سأحطم هذه الحواجز ، فلقد تعذبت بما فيه الكفاية والعذاب مدرسة لا تعلوها مدرسة أخرى .

السيد : (ينتهز الفرصة فيرق لها فعلا أو ادعاء) يا لك من مسكينة ! لكم أثرت بهذه العبارة علىّ ، لقد مست شغاف قلبى (يمد يده نحوها) تعالى . . . تعالى إلىّ . . . فلقد أحببتك ، علم الله ، ولن تستطيع كلمة منك مهما قست أن تطرد هذا الحب من قلبى . . .

المرأة : ولن أرفض حبك ، فأنا فى أشد الحاجة إلى كلمة عطف ، فى هذا العالم المليء بالغيلان والوحوش . . .

السيد : (وقد أصبح تأثره أكثر صدقاً) يا للمسكينة ! . . . إن ما عطيه إياك ليس كلمة عطف ، إنما هو العطف نفسه . . . اسمعينى وتأكدى أن ما يشغلنى هو خيرك . . . اصرفى ذهنك عن هذا الكتاب . . .

المرأة : (متخابثة) إنه فى المطبعة يا سيدى . . .

السيد : وأنا جئت مستعدا لمواجهة كل احتمال . (يخرج من جيبه مظروفاً تطل منه أوراق بنكنوت) إن جمعيات الأسرة

السعيدة قد أنابتنى فى أن أقدم لك هذا المبلغ الصغير عوضاً عن خسارة الطبع وعن أرباح النشر. إنه مساهمة متواضعة أرجو أن تقبليها . . .

المرة : ولكن الأمر ليس أمر مال . . .

السيد : أنا أعلم . . . إنك لست من الباحثات عن المال . . . ولكن لكل أمر جانبه المادى . . . وأقسم أن الله الذى يطلع على القلوب ، يعلم أنك تبت توبة نصوحاً ... وأن صفحتك أصبحت أشد بياضاً من الثلج وأنقى من ماء السماء . . . (يقبلها فى جبينها ويعدو مسرعاً نحو الباب) .

المشهد الخامس
المومس — الوصيفة

الوصيفة : (تأتى مسرعة وهى تكاد تتعثر فى عدوها ، فإذا وقع نظرها على المظروف كادت تنكفئ على وجهها) .
يا سيدتى . . . أرأيت هذا المظروف .

المرأة : وما لك تصرخين هكذا . ألم ترى نقوداً من قبل . . .

الوصيفة : رأيت ... رأيت ... لكم رأيت! لقد نثرت أنت الذهب النضار على أرض هذه الحجرة . ولكن الغرابة أن يأتى كل هذا المال ونحن ننتظر أن نطرد إلى الشارع ، إنها لمعجزة . إنك يا سيدتى قديسة . . .

المرأة : (ترن لها ضحكة فاجرة) قديسة ! لم يبق إلا هذا . . .

لقد أصبحت قديسة عند ما حلت بركة السماء علينا (تشير ناحية الباب) . . .

الوصيفة : ماذا فعلت بالرجل ؟

المرأة : كما ترين . . . ألقى بحمل نقود وذهب يعدو كالبعير . . . لكم تعلمت اليوم ! لقد كنت أظن أن بيت البغايا هو أوهى البيوت ، فعرفت أن هناك من البيوت ما هو أوهى . . . (يدق الجرس بشدة ، تتخشب الوصيفة ككل مرة ، ثم تنظر إلى سيدتها طويلا ، ثم تذهب إلى الباب وهى تهز رأسها وكأنها تقول من أيضا ؟)

المشهد السادس

المرأة ــ رجل الأمن

الوصيفة : سيدتى . . . هذه المرة كونى عاقلة بحق السماء . . . إنه رجل لا يعرف المزاح . . .

المرأة : أدخليه فوراً لقد طال انتظارى له . . .

الوصيفة : كنت تنتظرين مقدمه ؟

المرأة : بلا جدال . . . إنه الختام الطبيعى ليومنا هذا . . .

الوصيفة : أتعرفينه . . . إنه يخيف . . .

المرأة : لم يقع نظرى على وجهه . ولكن لا بد أن يأتى . . . وإلا كان تدبيرى كله غير ناجح . . .

الوصيفة : لا أفهم . . .

المرأة : لا ضرورة لفهمك . . .

(يدخل رجل شرطة يرتدى زياً رسمياً ، وهو رجل على أملس وناعم ، ولكنه قاس وصارم وحازم فى الظاهر . وإن كان فى الواقع تنقصه الثقة بنفسه) .

رجل الشرطة : نعمت صباحاً يا سيدتى . . . لقد طال انتظارى ، وليس فى مقدورى أن أنتظر .

(يده عصاً قصيرة يعبث بها) .

المرأة : لا عليك يا سيدى . . . فهذا بيت يدخله الناس بلا إذن ولا دستور !

رجل الشرطة : حاشا لله يا سيدتى . . . كيف تقولين هذا ؟

المرأة : أنت الذى قلت يا سيدى . . . ألا تشرفنا بحضورك ؟

رجل الشرطة : خيل إلى أن الفتاة نسيت وجودى . . .

المرأة : (موبخة) حقاً و ليس على الباب جرس ؟ !

رجل الشرطة : آه . . . صحيح . لكن الحديث معك يا سيدتى ممتع حقاً . . .

المرأة : لا تتعجل يا سيدى فإننا لم نتبادل سوى جملتين . . .

رجل الشرطة : الكتاب يقرأ من عنوانه . . .

المرأة : وهذا بيت القصيد فإنك قادم من أجل الكتاب . . .

رجل الشرطة : من قال هذا ؟ . . .

المرأة : أنا الذى أقول . . .

رجل الشرطة : وماذا أقول فى كتاب ممتع سينشر ؟ ! . . . فقولى ما أنت قائلة حالا ... (يضحك ضحكة حقيقية) ألم أقل لك إن الحديث معك ممتع ؟ . . .

المرأة : يسرنى أن أسمع هذا الثناء . الحق أننى فى أشد الحاجة إلى

كلمة ترفع معنوياتى . . .

رجل الشرطة : أنت فى حاجة إلى ما يرفع معنويتك ؟ لقد خلقت مقاتلة . . .

المرأة : ومع ذلك يحتاج المقاتلون دائماً إلى شىء ينسيهم مرارة القتال . . .

رجل الشرطة : وهل يسمح كرمك لى بالجلوس ؟

المرأة : (متظاهرة بأنها نسيت) أوه ... يا لقلة الذوق ! تفضل . .

رجل الشرطة : (وهو يجلس على مهل) أخيراً . . .

المرأة : (تتظاهر بالجفاف) نعم !

رجل الشرطة : لا . . . لا . . . أرجوك . ليس هناك ضرورة لهذا التجهم . . . اضحكى قليلا فإن تجهمك يخيفنى .

المرأة : أنت تخاف ؟ (تضحك ضحكة صافية) شىء ممتع حقاً . . .

رجل الشرطة : لا يخاف إلا نحن . . .

المرأة : من (نحن) ؟

رجل الشرطة : الذين صناعتهم أن يخيفوا الآخرين . . .

المرأة : طباخ السم ذواقه . . .

رجل الشرطة : (متظاهراً بالمرح) على رأيك . . .

المرأة : المقدمة طالت . . .

رجل الشرطة : (كأنما يفكر) ليس كثيراً . . . وعلى كل حال لماذا العجلة ؟

المرأة : لا بد مما ليس منه بد .

رجل الشرطة : (بعدم مبالاة) على رأيك أيضاً . . .

المرأة : أية أوامر ؟ الكتاب ؟

رجل الشرطة : ما دمت تعرفين ــ أهو ضرورى جداً ؟ أمن الضرورى أن تفضحى الناس وتخيفيهم ؟ .

المرأة : من قال ذلك ؟ لقد قصدت أن أمتعهم وأرفه عنهم ، وأن أعلمهم وأطلعهم على ما لا يعلمون . . .

الرجل : ولكنهم خافوا . . .

المرأة : إنهم يخافون ، لأنهم يجهلون ماذا أنا قائلة . . . والمرء عدو ما جهل .

الرجل : إنهم رجال شابت رؤوسهم ولم يعد ممكناً أن يتعلموا . دعيهم بجهلهم إنهم يحبون الجهل . . . وإنهم معه مستريحون . . .

المرأة : أولا تحميني أنا من قوم جهال خائفين ويريدون أن يعتدوا على حريتى ؟

الرجل : أنا أحمى حريتك (متظاهراً بالتنمر) من الذى يفكر فى الاعتداء عليها ؟

(ويرفع عصاه) ، كل من تسول له نفسه بذلك سأحطمه . . .

المرأة : (متظاهرة بأنها تصفق) مرحى . . . مرحى . . .

الرجل : لا . . . لا . . . أنت لا تصدقين . . .

المرأة : (متظاهرة بالغضب) كيف ؟ . أنا ؟ . . . لماذا ؟ .

الرجل : لست تعلمين أن حريتك تهمنى إلى أبعد مما تتصورين . . .

المرأة : أشكرك . . . (متظاهرة بالحماسة) لست أدرى كيف أشكرك . . . إذن سأعتمد عليك فى إصدار هذا الكتاب .

الرجل : إلا هذا . . . دعى هذا الكتاب لا تفكرى فيه . . . دعيه على الأقل الآن .

المرأة : الآن . . . هل هناك أمل فى أن ينشر بعد حين ؟ . . .

الرجل : لا أحد يعرف المستقبل ! من يدرى ؟ قد يأتى وقت يطلب إليك أن تنشريه ، وقد يقرر على المدارس يقرؤه التلاميذ . نحن نحبس أناساً فى أيام ونقبل أياديهم فى أيام تالية . . .

المرأة : (ضاحكة ضحكة حقيقية رنانة ثم تطول ضحكتها حتى تدمع عيناها)، فكرة طريفة . . . كتابى يقرر فى المدارس يا لها من فكرة ! لم تطرأ على خيالى قط .

الرجل : إن أفكار البشر لا تعرف الحدود . . .

المرأة : لكن لا تشترى منى الحاضر بالمستقبل . . .

الرجل : بل أنا مصمم على أن أشتريه وبأى ثمن . . .

المرأة : أهذا تهديد ؟!

الرجل : لا . . . لا سمح الله . . . إنما هو قرارى . . .

المرأة : وحينما تقرر أنت . . . لايعنى قرارك إلا تهديد الآخرين . .

الرجل : هذا هو حظنا دائماً مع الناس . حينما نكون ودعاء يحسبوننا ضعفاء ، وحينما نكون حازمين يقولون إننا قساة . ألا يوجد شىء بين بين ؟!

المرأة : كم يظلمكم الناس ! . . . أنا أريد أن أنصفك . . .

الرجل : (متظاهراً بالسرور) صحيح ؟!

المرأة : الأمر يتوقف عليك . . . اترك كتابى ، وسأخرج على قارعة كل طريق وأصيح هذا الرجل منصف . . . لقد حمى حريتى . . .

الرجل : (متظاهراً بخيبة الأمل) هذه الصفقة للأسف مرفوضة . . .

المرأة : كيف ؟

الرجل : اعرضى أى شىء إلا أن ينشر الكتاب . . .
المرأة : أهو مخيف لهذه الدرجة ؟ أهم خائفون حقاً . . .
الرجل : طبعاً . . . إن نزع أثواب الناس وتركهم فى الهواء، يسبب لهم التهاباً رئوياً . والتهاب رئوى لشيوخ ضعفاء يسبب الموت . . . إنهم يخافون الموت . . .
المرأة : لا يخافون إذن الفضيحة . . .
الرجل : حينما تقترن الفضيحة بالموت يكون الموت هو الشىء المخيف .
المرأة : الموت والفضيحة معاً . . . لم أكن أتصور أنى قادرة على كل هذا . . .
الرجل : من منا يعرف حقيقة قدرته . (يتوقف قليلا) ثم حقيقة ضعفه . . .
المرأة : بودى أن تتركنى أخوض هذه التجربة . . .
الرجل : الموت والفضيحة للآخرين .
المرأة : لآخرين يستحقونها . . .
الرجل : فى رأيك أنت . . .
المرأة : ومن يدرى ألا يمكن أن يكون رأيى صواباً ولو مرة واحدة .
الرجل : لم يسمح أحد بعد للأطباء أن يجربوا فى الأجسام الحية . . .
المرأة : ليس هؤلاء آدميين إنهم خنازير وكلاب . . .
الرجل : وتريدين بعد هذا أن أسمح بنشر الكتاب . . .
المرأة : آه نسيت أنك تعمل لهم . . .
الرجل : (ملدوغاً) أنا لا أعمل لأحد ، أنا أعمل للقانون . . . للقانون وحده .
المرأة : (متحدية) أرجوك أن تعفى القانون من الدفاع عنه . . . أنت تدافع عن نفسك وأصحابك . . .

الرجل : أصحابى هم السادة الذين لولاهم لما وجدتم ما تأكلون . . . إنهم شرف الإنسانية وجاهها . . .

المرأة : ومع ذلك يخافون من كتاب تكتبه واحدة مثلى . . .

الرجل : واحدة مثلى (يقلد صوتها) !

المرأة : يا سيدى أنا احترمت شعورك بوصفك حامياً للقانون ، ولم أقل تكتبه مومس بغي . امرأة بلا شرف . . .

الرجل : نحن نخاف على أولادنا وبناتنا من أن يقرءوا هذه الأوساخ .

المرأة : ومع ذلك لم تتذكروا أولادكم التى هى أكبادكم تمشى على الأرض إلا آخر الأمر . . .

الرجل : لا تطيلى معى الكلام . . . الكتاب لن يصدر . . .

المرأة : الكتاب سيصدر . . .

الرجل : (يقترب منها ويلوح بعصاه فى وجهها فيبدو عليها الخوف ولكنها تخفيه) . مثلك لا ينفع معها إلا هذه (يهز العصا وهو يعض شفته السفلى من شدة الغيظ) .

المرأة : يا له من مجتمع قوى ، هذا المجتمع الذى يوفدك للتفاوض معى . امرأة ضعيفة عزلاء ، تخيفكم إلى هذا الحد حتى تمتشقوا سيوفكم وتلوحوا بها فى وجهها . . . حسناً سأذعن للقوة .

الرجل : (محاولا انتهاز الفرصة) أنت تذعنين للحكمة ، للعقل . . .

المرأة : كل منا يسمى خسائره بالاسم الذى يحلو له . . . أما أنا فأسمى الأشياء باسمها . . . أنا مرغمة . . . أنا لا حول لى . ليس معى عصاً يا سيدى . . .

الرجل : (محاولا مداهنتها) أنت أقوى من العصا . . .

المرأة : ومع ذلك هأنذا أخاف منها . . .

الرجل : بل إنك تلغين وجودها . . . (بعد توقف) أنا أعرف أنك أنفقت كثيراً فى هذا الكتاب . . . أعرف أنك تمرين فى أزمة . هذا مبلغ بسيط . . . هذا من حقك . . .

المرأة : لا . . . لا يا سيدى . . . النقود بعد العصا، تفقد طعمها . . . على أنى لم أعد فى حاجة إلى نقود . . . لقد دفعوا لى أكثر مما كنت أنتظر . . . وقرارك أعفانى من مسئولياتى أمام الذين دفعوا للكتاب سأقول لهم ما قلته لى . . . من يدرى قد يقرر على تلاميذ المدارس . . . إننى فى هذا المجال امرأة بلا تجربة . . . أنت تعلم أكثر مما أعلم . . .

الرجل : (يقف ويحنى رأسه) هل لى أن أنصرف ؟

المرأة : إذا شئت (ينصرف يبطء حتى إذا وصل إلى عتبة الباب لوح بيده وانصرف دون أن ترد عليه المرأة بشىء) .

المشهد الأخير

(تدخل الوصيفة تلهث كعادتها . . .)

الوصيفة : هل أنت بخير يا سيدتى ؟

المرأة : (فى تراخ) . . . كما ترين . . .

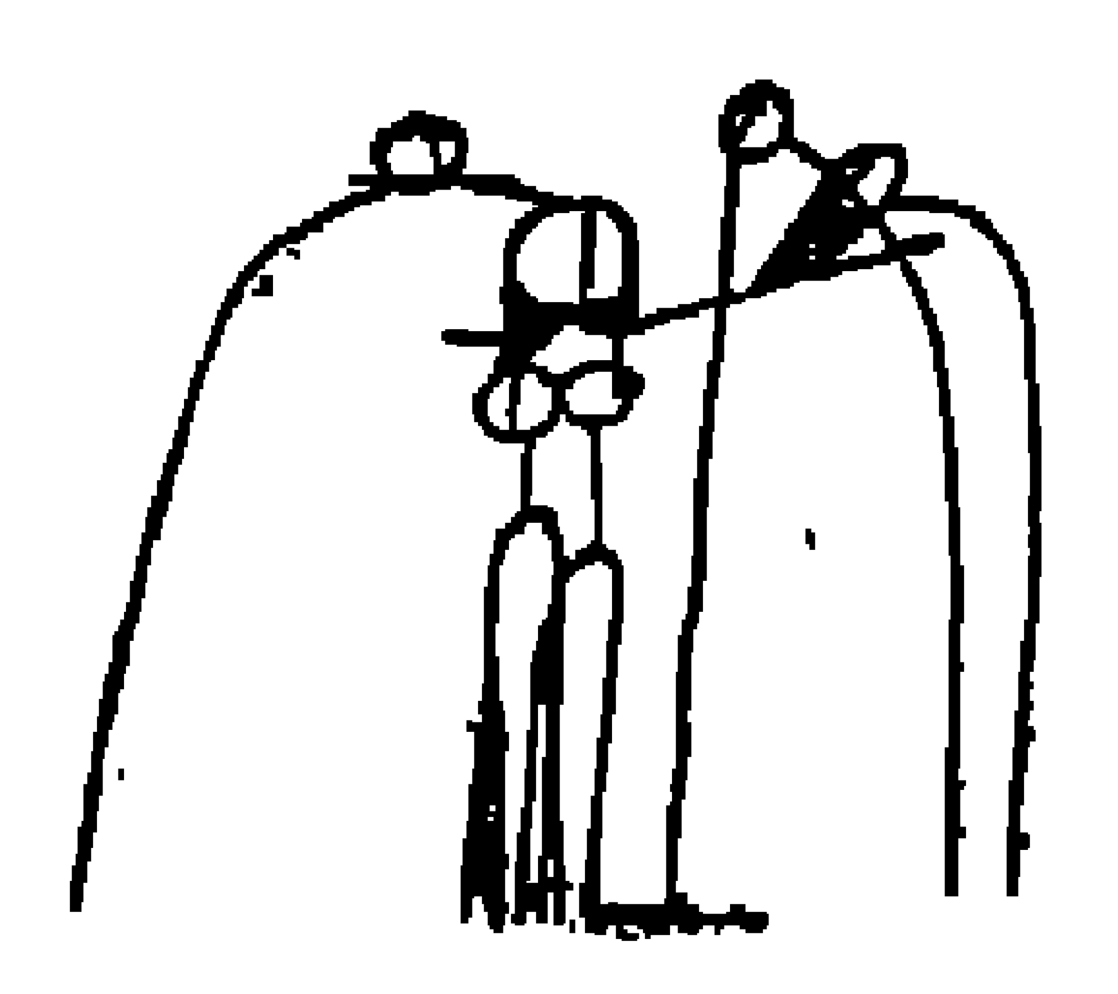
الوصيفة : إذا ما جاءوا غداً فسيجدون مالا كثيراً . سيجدون أكثر مما يطلبون .

٤٢

المرأة : إنهم لن يأتوا يا فتاتى . . . إنهم لا يأتون إلا لمن لا مال عنده ، إنهم عندما يشمون رائحة المال يفرون . . .

الوصيفة : ما أسعدنى يا سيدتى! . (تغمرها بالقبلات) .

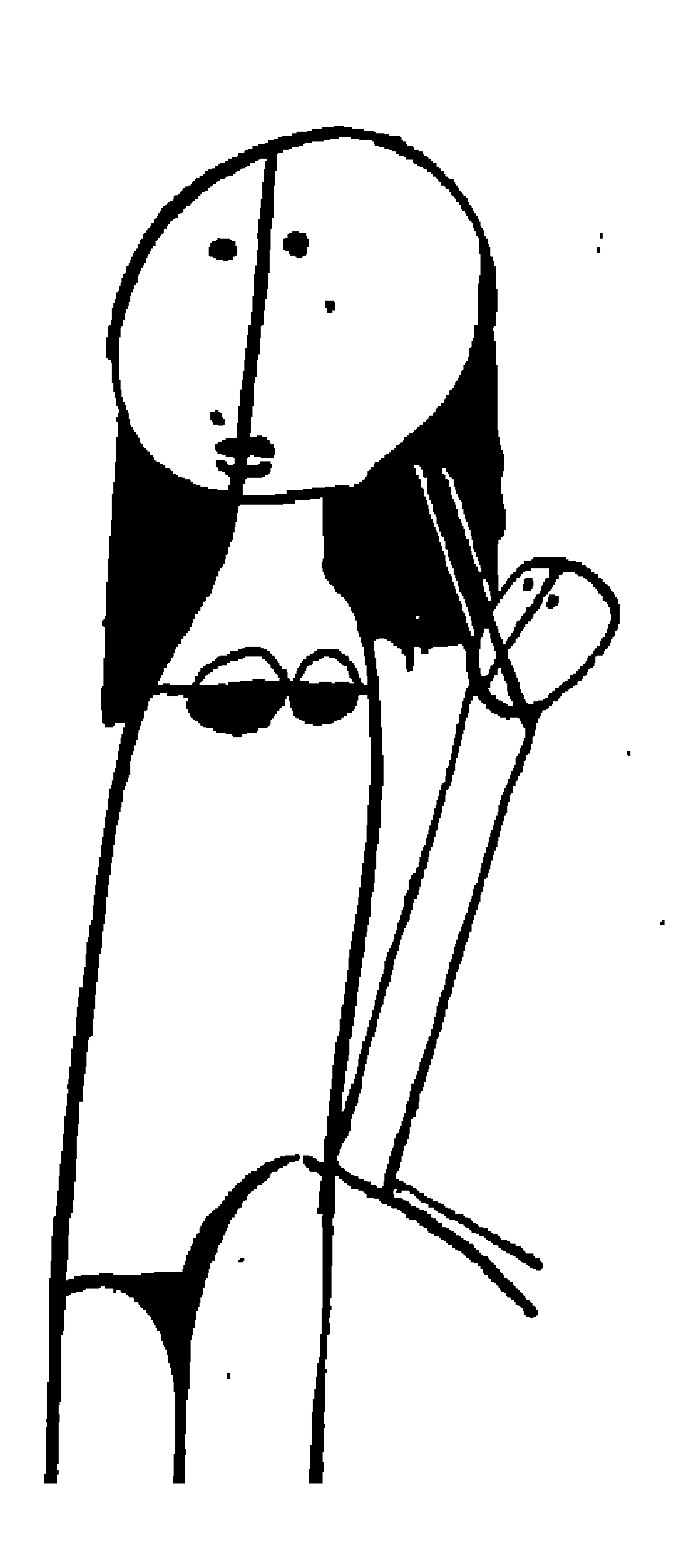
المرأة : (تدفعها برفق) ، كم كنت أحب أن تقرأ البنات كتابى ، إنه وحده الذى يحمى من السقوط ، لكن الآباء رفضوا . . . ليدفعوا الثمن . . . لقد أديت واجبى . . .



المشهد الأول

حجرة مكتب فاخرة . . . يجلس خلف المكتب « زكى » وهو شاب وسيم أنيق فى حدود الثلاثين ، يبدو لأول وهلة مهذباً رقيقاً ، ويبدو فى النظرة الثانية ذا عزم وميل إلى المخاطرة لايتردد ولا يهاب شيئاً ولا شخصاً . لا يعرف الناس ماضيه ، لأنه ليس له أصدقاء دائمون ؛ فهو كالإمبراطورية البريطانية ليس لها أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، إنما لها مصالح دائمة . يعرف مصلحته ويفكر فيها ويتربص للفرص كالنمر المفترس ؛ فإذا لاحت انقض عليها وأنشب مخالبه فى دهاء ولطف ، ولكن بلا رحمة ، إنه محدث بارع ومستمع أبرع ، ولكن الذى يحير فى أمره وظيفته ، فلا أحد يعرف حقيقة عمله حتى دوائر الشرطة والنيابة ، أيعمل سمساراً أم يعمل مقاولا أو مستورداً أو مصدراً أو محاسباً أو متعطلا ، إنما هو دائماً أنيق مبتهج نشيط مشغول ، ينزل بسرعة درجات السلم إن كان المصعد معطلا ويصعده كذلك وثباً . فى يده سلسلة مفاتيح غالية يعبث بها ، ويسمع أحياناً وهو يصفر بشفتيه ألحاناً مشهورة ومجهولة تدل على أنه مثقف ، ولكن ثقافته أيضاً محيرة ، فهل تلقى علمه فى مدارس إنكليزية أو فرنسية ، فى مصر أم فى الخارج ؟ أم أنه لم يدخل مدرسة قط ، وعلم نفسه بنفسه ؟ وأى نوع من الثقافة تلقى ؟ لا أحد كذلك يعلم . . .

يمر الآن فى أزمة من أزماته التى لاتنتهى، ولكنها لا تقلقه ولاتغير كثيراً من مظهره ، فهو الآن بلا عمل لكنه يعلم أن العمل سيأتى حالا ، وفعلا تحقق توقعه فلقد طرق بابه طارق ، هو الزوج . الزوج فى الرابعة والخمسين ممتلئ الجسم قصير ، نشيط ، ملىء بالحيوية . دنيوى ولكن لايكف - كأمثاله - عن التحدث عن الدين والآخرة .



الزوج : صباح الخير . . . حمداً لله . لقد وجدتك . لو لم أجدك لكانت كارثة .

زكى : (مندهشاً وغير فاهم شيئاً) سيادتك ؟

الزوج : (مقاطعاً) طبعاً . ليس لدى وقت أضيعه . لقد أحضرت معى كل المستندات المطلوبة . . . بطاقتى الشخصية ، وجواز سفرى — ورقمها الخاص غير الموجود فى الدليل — ثم طلباً منى موقعاً عليه . . . أنت ترى أننى أعددت للأمر عدته . . . ليس لدى وقت أضيعه . . . ليس لدى وقت أضيعه حمداً لله . . . إنه كريم حقاً . . .

زكى : (مأخوذاً بهذا الفيض المتدفق محاولا أن يستفسر) ولكن ؟ .

الزوج : ليس هناك لزوم للكن . . . أنا أعرف كل شىء . . . ومستعد لكل شىء . . . كم جنيهاً تريدون مقدماً . . . مائة . . . مائتين . . . لا.سأدفع خمسمائة . . . ها هى ذى خمسمائة (يخرج من جيبه خمسمائة جنيه دفعة واحدة ، تسقط بعض الأوراق على الأرض دون أن يلتفت إليها). خذها يا سيدى مع الشكر ولكن أستحلفك بكل عزيز عليك ألا تضيع الوقت . . .

زكى : أتسمح بتوجيه سؤال واحد ؟

الزوج : (ضاحكاً) يا له من تواضع ! . . . سؤال واحد ، أنا أعلم أن مكاتب البوليس الخصوصية توجه عشرات بل مئات من الأسئلة . ولكنى صبور ما دمت أريد النجاح وأرغب فيه . . ولكن قبل أن توجه السؤال الأول هذه هى صورتها (يخرج من جيبه صورة ويلقيها فى وجهه بسرعة) .

زكى : (يتلقف الصورة وقد زاغت عيناه بين الصورة والمبلغ المتناثر أمامه) حقاً إنها جميلة .

الزوج : أنا معك . . . بل هى فاتنة .

زكى : (يمد يده نحو النقود ويجمعها أمامه ويدير رأسه مبتسماً ويعود إلى النظر إلى الصورة ويهم بالكلام ولكن الزوج يقاطعه) .

الزوج : لقد فهمت ما انطبع على وجهك . . .أنت تعجب أن تكون هذه البسيطة الرائعة الطيبة . . . هى محل شكواى ، وأن يكون المطلوب من مكتبكم الشهير مراقبتها ومعرفة علاقاتها . . .

زكى : (مصعوقاً) مراقبتها ؟ مكتبنا ؟

الزوج : (محاولا التهدئة) أنا أعلم.أنا أعلم.أنا مجرب. لقد طحنتنى الدنيا وطحنتنى أكثر من كل شىء هذه الزوجة اللعوب الفاجرة الماكرة التى تستطيع أن تدوخ إمبراطورية . . . نعم إمبراطورية

زكى : (وقد نجح أخيراً فى الكلام) أنت تطلب من مكتبنا أن يراقب زوجتك ؟

الزوج : (وقد عاد إلى شىء من الهدوء) تمام . . .

زكى : والغرض من هذه المراقبة معرفة علاقاتها ؟

الزوج : (يهز رأسه ويزم شفتيه) بالضبط . . .

زكى : (وقد بدت له الحقيقة وبدأ عقله يعمل بسرعة) وأى مكتب تقصده بالضبط ؟

الزوج : مكتبكم . . . مكتب الدراسات الإنسانية . اسم جميل جداً ويخفى وراءه عالماً من الأسرار والمهارات . . . إن

لوحة المكتب فى الخارج « الدراسات الإنسانية » (يقولها بتمهل) .

زكى : (وقد فهم الأمر تماماً وقرر قراره) فهمت. . . فهمت جيداً . . . أنت تعلم يا سيدى أن مكتباً كمكتبنا . يتحرك بحذر ، ولا يقبل كل مهمة ، ولا يبغى إلا . . .

الزوج : (مكملا) إلا المصلحة العامة ،. . .أنا عارف . هل تريد أن تعرفنى ؟ ولولا أننى أعرف ما جئت إلى هنا . . .

زكى : (يمسك الصورة فى يده) فإذا عدنا إلى الصورة باعتبارها المستند الأول — دع عنك البطاقة الشخصية وجواز السفر المثبت لشخصيتكم .

الزوج : (مقاطعاً) أنا معك . . . إنها صورة خداعة . . .

زكى : (وقد بدأ يندمج فى الدور) لا أعنى هذا بالضبط .

الزوج : (قلقاً) إذاً ماذا تعنى سيادتك ؟

زكى : (يخرج سيجارة ويقدمها إلى الزوج) لقد نسيت أبسط واجبات التحية .

الزوج : أنا لا أدخن . . .

زكى : (يخرج من درج المكتب علبة سيجار) إذن سيجار .

الزوج : إنه فاخر . ولكنى أشرب السيجار بعد الغداء أو العشاء فقط . . . شكراً . . .

زكى : فنجان قهوة . . .

الزوج : لا . . . لا . أرجوك . . . أنا أريد التكلم فى الموضوع (يمسك ورقة من فوق المكتب وقلماً ويكتب شيئاً بسرعة ويلقى به أمام زكى) .

زكى : ٧٠٠٣٣٥ (يهز رأسه مستفسراً) .

الزوج : (بصوت منخفض قليلا) إنه رقم تليفونها بالمنزل . . . أحسن وقت للاتصال بها بعد العاشرة صباحاً ، وبعد الرابعة بعد الظهر . . . ومراقبة التليفون لا تكون قبل ذلك . إنها حذرة تماماً .

زكى : حسناً . . . والسيارة . . .

الزوج : سيارة مرسيدس ٣٣٠ رقم ٩٥٠٧١٠ .

زكى : (يأخذ الرقم فى مذكرة أمامه) شبهاتك تدور حول ؟ !

الزوج : حول اثنين من أعز أصدقائى ، وواحد من الشخصيات الشهيرة صلتى به سطحية ، وأحياناً أتصور أن لها علاقة بأكثر من شخص . صديق وعشيق قديم وآخر جديد . . .

زكى : (يرفع حاجبيه ويصفر) وتعتقد أن لهذه الشبهات أساساً . . .

الزوج : (محتجاً) أساس . . . تقول يا مونشير أساس ؟ ! أنا رجل أعمال . . . أنا مجرب . . . أنا لا أتحرك إلا بحساب . . . وكل خطوة مدروسة جيداً .

زكى : ومنذ . . .

الزوج : (مقاطعاً) كان كل شىء يسير طبيعياً . . . فجأة . . . كأنما أستيقظ من حلم جميل لأدخل فى كابوس ثقيل . . . عادة لا يحدث هذا فى الواقع . . . فنحن إما أن نحلم أحلاماً جميلة . . . وإما أن نقع فرائس لكابوس . . . أما الكابوس بعد حلم جميل . . .
(يدق التليفون)

زكى : آلو . . . آلو . . . أهلا . . . أشكرك هل يمكن أن أتصل بك بعد دقائق . . . سأكلمك . . . والله سأكلمك

. . . دقائق . . . مع السلامة .

زكى : وما السبب المباشر ؟ !

الزوج : كما يحدث عادة . . . أدخل فالمكالمة التليفونية تنقطع فجأة . . . مكالمة تليفونية لا يرد صاحبها . . . تغير خفيف فى مواعيد الخروج والعودة . . . شىء من القلق . . . على وجهها . . . ثم أتنبه لأرى أشياء كثيرة لا أدرى كيف مرت علىّ من قبل . . . ولكن لا أريد أن أؤثر عليكم . . . أرجو أن تجرى تحرياتك المبدئية . . . ثم نتقابل (يهمّ بالوقوف) يخرج قلماً من جيبه ويسأل ما هى الصيغة المألوفة عندكم . . .

زكى : (مرتبكاً) الصيغة المألوفة ؟

الزوج : صيغة التكليف لمكتبكم بالمراقبة الخاصة والتحرى على مسئوليتى . . .

زكى : (مسروراً بالفهم) أوه . . . ليس هناك صيغة ثابتة . . . أى شىء بهذا المعنى ؟

الزوج : (ينهمك للحظة فى الكتابة ويقدم الورقة لزكى) هذا كاف . . . هذا كاف ؟ !

زكى : (متأملا فى الورقة متظاهراً بعدم الاكتراث) .

الزوج : (وهو ينصرف) أشكرك جدا يا مونشير . . . وهذا تليفونى .. كلمنى فى أى وقت . . . سكرتيرتى تعرف أين أنا إذا لم أرد بنفسى . . . كلمة السر بيننا صفقة الزبدة الهولندية . . .

زكى : (ضاحكاً) دعنى أهنئك بهذه الموهبة البوليسية . . . نحن فى حاجة إلى هذا الذهن النفاذ الذى يحسب حساب كل كل التفاصيل . . .

الزوج : (يمسك بيدى زكى بين يديه) أنا ابن سوق . . . ومع ذلك لم تنفع كل هذه المواهب في استبقاء وفاء هذه المجرمة . . . أنا لا أريد أن أكون عاطفياً ، ولكن أقسم لك بشرفي لقد وضعت تحت قدميها الدنيا . . . كلها . . . المال والشباب والرياضة والصلات والدعوات والهدايا . . . ثم الإخلاص . . نعم الإخلاص . . . لكنهن النساء يا سيدى . . . النساء . . النساء . . . لماذا خلقهن الله بهذه البشاعة . إن حكمة الله تخفى على . . . علينا جميعاً (يبدو عليه التأثر ويحاول التغلب على انفعاله . يأخذ أوراقه ما عدا جواز السفر) سأترك جواز السفر لتقدمها إذا لزم ذلك كدليل على صلتى بكم . (يدق التليفون يتركه زكى يدق فترة ثم يصافح الزوج فى هدوء ويوصله إلى الباب ويعود إلى التليفون) .

زكى : (يرفع السماعة) لعن الله أباك (يضحك) أنت مستعجل ؟ نعم مشغول قلت لك دقائق وسأتصل بك . . . حدث ما لم يكن فى الحسبان . . . لا . . . لا . . . لا يمكن الحديث فى التليفون . . . الموضوع فى كلمة . . . أتعرف لوحة « الأبحاث الإنسانية » الموجودة على باب الشقة . . . أحدثت عند إنسان ما وهماً . . . وأنا الآن بطل مغامرة عظيمة بفضل هذا الوهم . . . لم يكن باقياً فى علبة سجائرى إلا عشر سجائر . . . وفى علبة السجار – إلا سيجاران ، ثم هبطت على خمسمائة جنيه مرة واحدة من السماء . . . التفاصيل عند ما أراك . . . التفاصيل الآن بعيدة عن شواربك . . . بعد الأرض عن المريخ ، لا تحاول لا تحاول . إلى اللقاء بعد انتهاء المغامرة . أنا الآن سأغرق حتى أذنى .

المشهد الثانى

(زكى بتكلم مع الزوجة فى التليفون) .

زكى : سعادة الهانم موجودة ؟ . . . نحن هنا محلات « رينا » للفراء . أنا منتظر (يدير عينيه فى سقف الحجرة ، مرسى . . . الحقيقة أننى أريد سيادتك فى موضوع حساس قليلا . . . لقد أخذت رقم التليفون من سعادة البك . نعم . . . نعم هو نفسه . . . لماذا ؟! هذا ما أريد أن أقابل سعادة الهانم من أجله . طبعًا مسألة خاصة وحساسة كذلك ولهذا لا بد أن نتقابل . . . كما تشائين . . . فى المكان الذى يعجبك ولكن أرجوك حددى موعداً سريعًا . . . فى مكتبي لا بأس . . . لا بأس . . . إنه فى عمارة هادئة . . . الأماكن الأخرى عامة أو خاصة ، تسبب ارتباكًا لا مبرر له . . . كل شىء ينتهى على خير . أورفوار . . . أورفورا . . . مكتبنا مكتب الأبحاث الإنسانية ٥ شارع أصلان أمام لوكاندة « الكوت دازير » . . . حسنًا لقد بدأت تدركين الموضوع . . . طبعًا هذا ليس صعبًا على على سعادة الهانم . . .أرجو ألا تقلقى . . . كل شىء سيجرى على ما يرام . . . أورفوار سعادة الهانم . . . أورفوار مدام .

المشهد الثالث

زكى – الزوجة

زكى فى المكتب ، قلق ، ولكنه يخفى قلقه وعصبيته متألق ، تفوح رائحة الرجولة من كل حركة من حركاته ، وتزيده المغامرة ذكاء ولطفاً وجاذبية . تدخل الزوجة ، رشيقه ، أنيقة ، ذات شخصية آمرة . أناقتها بسيطة ، وجمالها من الطراز الذى يزداد تأثيراً بالتأمل فيه ، الاقتراب منها والاستماع إليها ، يقفز زكى ، يحيى الزوجة وينحنى على يدها دون أن يقبلها .

زكى : صباح الخير . . . بونجور مدام . . . بونجور يا أفندم .

الزوجة : ترد التحية فى صوت خافت كأنها لم تنطق .

زكى : سامحينا . . . إذا كنا أزعجناك . . . إنه الواجب .

الزوجة : (بهزة من رأسها مع ابتسامة وبرود) ما المسألة ؟

زكى : (يخرج علبة سجائره) .

الزوجة : (تمد يدها وتأخذ واحدة ، فيشعلها زكى وهو مضطرب قليلا) .

زكى : لست أدرى كيف أبدأ !! .

الزوجة : (فى هدوء تام) كما تحب . . .

زكى : (يعبث فى جيوبه) فعلا . . . أأقدم هذه الصورة ؟! .

الزوجة : (تمسك بصورتها فى عدم اكتراث بها) هذه صورتى . .

زكى : بالضبط ولكنها أقل كثيراً من الأصل . . .

الزوجة : (فى نفس الهدوء الذى أصبح بروداً) ، لم أفهم شيئا . أو لم أفهم جيداً . . .

زكى : (وقد أصبح أكثر ثقة بنفسه) ، وهذا جواز سفر سعادة البك .

الزوجة : جواز سفره ؟ . أينوى السفر ؟ . هل أنتم مكتب سياحة ؟

زكى : (ضاحكا) . . . بل لتعرفى سيادتك عند اللزوم أننا مكلفون من سيادته . . .

الزوجة : مكلفون . مكلفون . . . بأى شىء ؟

زكى : آه . . . ظننت أننى كنت واضحا بقدر كاف فى مكالمتى التليفونية . . .

الزوجة : لقد تصورت أن زوجى يطلب منكم أن تعرفوا تحركاتى . . .

زكى : إذن ما الشىء الغامض ؟

الزوجة : الشىء الغامض أنكم لم تحاولوا تعرف تحركاتى . . . واتصلتم بى مباشرة هل تريدون مبلغا ما من المال . . . كم تطلبون

زكى : مال . . .

الزوجة : (باحتقار) مال . طبعا ؟ أم أنتم هواة . . . هل تراقبون الزوجات لمجرد التسلية .

زكى : لا . . . لا . . . إن لنا طريقتنا فى معالجة هذه المهام الحساسة . . . الدقيقة نحن لا نبدأ عملنا إلا إذا كنا

مؤمنين بأن المهمة أساسها الأدبى الخلقى . . . نحن مكتب له سمعته .

الزوجة : (وهى تنفث دخان السيجارة) يا لها من مبادئ ! أهنئكم عليها .

زكى : صدقينى . . .

الزوجة : (فى برودها الذى حضرت به) . أنا أصدقك . . . هذه المبادئ لها تسعيرة طبعاً .

زكى : نحن نفضل أن نتصل بالطرف الثانى تعلمه بالمطلوب . . . . . . أرجوك أن تحاولى فهمى .

الزوجة : (متظاهرة بالاندهاش الخفيف) غريبة ؟تتصلون بالطرف الثانى بناء على أى مبادئ .

زكى : لا غرابة فى هذا الأسلوب . . . لقد جربناه فى مرات سابقة كثيرة . . .

الزوجة : (فى استهزاء) شىء ممتع . . . أنا مشتاقة أن أعرف شيئاً عن هذا المنهج إذا كان ذلك ممكناً . . . أم هو سر من أسرار المهنة (تضحك ضحكة قصيرة) .

زكى : (متحمساً) بكل سرور . . . نحن نعلن الطرف المطلوب مراقبته ، بأنه تحت المراقبة . وسيكون لذلك النبأ وقعه فى نفس سامعه . . . وبخبرتنا ندرك فى الحال مذنب هو أم برىء .

الزوجة : فإذا كان بريئاً مثلا . . .

زكى : رفضنا المهمة ، وأعدنا مقدم الأتعاب ونسينا كل شىء عن الموضوع . . .

الزوجة : وفى هذه المرة ماذا تفعلون ؟

زكى : (فى حماسة مصطنعة) انتهى كل شىء سنرد الأتعاب قطعاً

الزوجة : (فى شىء من الحماسة) خسارة . . .

زكى : خسارة فى جانب إظهار براءة بريئة . . .

الزوجة : (فى ابتسامة أخاذة وخبيثة) ، تقول بريئة ؟

زكى : قطعاً !

الزوجة : (فى تساؤل مع ابتسامة أعرض) أنا ؟

زكى : (يهز رأسه بشدة علامة الموافقة) .

الزوجة : يبدو لى يا سيدى أن خبرتكم محدودة لغاية . . . أأنتم مبتدئون فى عملكم .

زكى : كيف ؟

الزوجة : لأنى أبعد الناس عن أن أكون بريئة . . . أنا مذنبة . . . (تتوقف وتهز كتفيها) أنا مذنبة فى رأى هذا المجتمع المغفل الساذج . . . ما علينا . . . أنا مذنبة وقد يدهشك أن تعلم أنى أريد أن أتعاون معكم . . .

زكى : معنا ؟

الزوجة : (تهز رأسها علامة الموافقة) معكم !

زكى : كيف ؟

الزوجة : سأمكنكم من إثبات علاقاتى . بصور ومكالمات تليفونية مسجلة : وخطابات مكتوبة بخط يدى وشهود إثبات من كل نوع .

زكى : (مرتبكاً) ولأى غرض ؟

الزوجة : أولا خدمتكم . . . وثانياً لأنى أريد أن أتخلص من هذا الزوج الذى لا يطاق .

زكى : (متظاهراً بالاحتجاج) لا يطاق . . . لا . . . لا . . . أخشى أن تكونى . . .

الزوجة : (مقاطعة) مبالغة . . . (وتهز رأسها فى مرارة) ما أعجبكم أيها الرجال ! لا تكفون عن التعصب ضد المرأة حتى فى الحالات الصارخة التى لا ينفع فيها جدل . . . أيعجبك هذا الرجل ؟ .

زكى : بذمتى لم أر فيه عيباً .

الزوجة : (تبتسم ابتسامة سخرية) ولماذا الحماسة ؟ . . . ولماذا تحلف ؟ . . . أطلب أحد منك أن تحلف . . .

زكى : (مندفعاً ومقاطعاً) ثم إنه يحبك ؛ وقد قال إنه يضع تحت أمرك ماله وقلبه ووقته .

الزوجة : (تصفر صفيراً تعبيراً عن شعورها بضخامة ما يقدمه زوجها) ماله وقلبه ووقته . . . هكذا دفعة واحدة . . . لعله حدثك عن هداياه وزياراتنا ورحلاتنا فى الدنيا والعربات الفاخرة ومركزنا الرفيع فى المجتمع . . . هذه هى وظيفتى فى حياته . . . وسيلة للمباهاة . والتحدث عن ثروته وجاهه ونفوذه ، ولطفه وكرمه وبراعته . . . إنه لا يفكر فى حينما يختار قطعة من الماس الممتاز . . . إنه يفكر فيها حول عنقى أو فى إصبعى وهى تخلب لب النساء الأخريات اللواتى يريد اقتناصهن من أزواجهن ، إننى مجرد فترينة فاخرة فى محل أعماله . . . عملية السلب تطير بصوابه . . . إنه لا يحب النساء ، ولا يطيق صحبتهن . . . إنهن عنده غزوات . . . يغلب فيها رجالا آخرين أقوياء ، فالمرأة غير المتزوجة لا تشغله إلا أن تكون فتاة مجتمع يسيل لها

لعاب الرجال الأقوياء الأغنياء المدججين بالمال والنفوذ . . . عندها يريد هزيمة الرجال والسطو عليها . . . بماله وهداياه وصوره فى الصحف وعرباته وقصوره وشركاته ، ثم بظرفه ولطفه وفكاهاته ودعاباته . . . إنه رجل غليظ صلف قاس مغلق . ولكن إذا ما أحس برائحة فريسة ، والفريسة دائماً رجل لا امرأة ، وفكر فى أن يخطف من الرجل زوجته أو عشيقته أو ابنته فاض لطفاً وظرفاً ، وخف وزنه ، وطلع الشعر فى صلعة رأسه ، وحلت عقدة لسانه وتخلى عنه بخله ، وهبطت قيمة الجنيه من عرشها . . . .

زكى : (مأخوذاً بهذه المحاضرة) يا له من تحليل . . . أنت يا سيدتى عظيمة . . . اسمحى لى أن أقبل أطراف يدك . . . إعجاباً ، وانحنى عليها تقديراً بل تقديساً . . .

الزوجة : (فى تصلب وتجهم كأنها لم تكن مندفعة منذ لحظة) ما لهذا جئنا . . . لنعد إلى العمل . . . أنا مستعدة أن أثبت الآن وبخطى أى خطاب غرامى تمليه علىّ إلى أى رجل فى الدنيا تحب أن أوجه إليه الخطاب لتحمله إلى زوجى المحترم دليلا على خيانتى . . . ومستعدة أيضاً أن أسجل بصوتى الآن مكالمة تليفونية ساخنة مع عشيق موجود أو موهوم كما تشاء . . .

زكى : كل ذلك من أجل أى شىء ؟

الزوجة : فى مقابل شىء واحد . ألا تسمع من هذه التسجيلات إلا شريطاً واحداً هو ما سنسجله الآن . . . أما ما سأعطيك إياه من التسجيلات وألبومات الصور والخطابات ، فيجب أن تسلم إلى زوجى مغلقة ليسمعها بمفرده وليتأملها وحده . . .

زكى : (مرتبكًا) ولماذا وحده ؟

الزوجة : لأن هذه التسجيلات مع رجال لا أحب أن أفضحهم فى المجتمع . . . يكفى أن يعرفهم زوجى وحده ، وسيكون سعيداً جدا بهذه الهدية الفاخرة .

زكى : أية سعادة يا سيدتى التى تتحدثين عنها ! . . . وزوجك سيعرف أن لك أكثر من عشيق . . .

الزوجة : إن هذه التسجيلات ستكون أسلحة قاطعة سيضعها زوجى على رقاب أعدائه ، سيطاردهم فى المجتمع . . . سيذلهم ، وسيفرض عليهم إتاوات ، كدولةمهزومة تؤدى للأعداء الجزية والتعويضات بالملايين .

زكى : ولكن يبدو لى أن مكسبك لا يتناسب . . .

الزوجة : (مقاطعة) لا تشغل نفسك بى . . . أنا أحب الحساب . . . والمسألة عندى محسوبة جيداً . . . أن أتخلص من هذا الخنزير ، وهذا شىء لا يقوم بثمن . . .

زكى : ما كنت أحسب أن النجاح سهل إلى هذه الدرجة .

الزوجة : يكفى يا سيدى أن تهبط بزورقك إلى هذه البحيرة الراكدة القذرة التى يسمونها المجتمع الراقى ، حتى تجد نفسك ملاحًا ماهراً . . . فالجثث تعلو سطح هذه البركة ، حسبك أن تمد يدك إن أردت أن تجمع منها ما تشاء .

زكى : يا له من خيال ! !

الزوجة : خيال نتن . . . خيال قذر . . . ما علينا ، ماذا قلت ؟

زكى : ماذا أستطيع أن أقول ؟

الزوجة : (بطريقة من يباشر عملا مألوفًا) خاليًا من العاطفة والانفعال ألديك جهاز تسجيل . . .

زكى : (يقوم مضطرباً) موجود . . .
الزوجة : وعندك . . . ورقة وقلم ؟
زكى : (أكثر اضطراباً) طبعاً . . .
الزوجة : (فى هدوء وإصرار) هات شريط التسجيل لنسجل مكالمة تليفونية . . . وسأكتب ما تمليه عليه .
زكى : لا . . . لا . . . لن أملى شيئاً .
الزوجة : لا تملى شيئاً . . . أنا أعرف كيف أكتب خطاباً يقرؤه زوجى فيقفز إلى سطح الحجرة من شدة الفرح . . . ثم يفتح لكم خزائنه بلا شرط ولا قيد . . .
زكى : (وهو لا يصدق نفسه) إنك رائعة . . . أكثر من رائعة .
الزوجة : بل أنت رجل ممتاز . . . إنك رجل أعمال مدهش ، لديك حاسة اجتماعية ستؤهلك لنجاح عظيم . . . قل لى اسم مكتبكم ثانية — لم أقرأ اللوحة فى الخارج جيداً .
زكى : (فى أناة) الأبحاث الإنسانية .
الزوجة : الأبحاث الإنسانية (ضاحكة . يحضر زكى جهاز التسجيل ثم يحضر أوراقاً وأقلاماً) — اسم على مسمى (تضع الزوجة فى حقيبة يدها شريط التسجيل دون أن يلتفت زكى) .

المشهد الرابع

الزوج — زكى

الزوج : أنا لا أصدق أن هذا حدث .
زكى : ولماذا الشك ، وهذه الأشرطة أمامنا . . . ثم هنا مجموعة خطابات ؟ !

الزوج : (مأخوذاً وبين يديه حزمة من الرسائل) ولكن كيف استطعتم أن تحصلوا على هذا كله فى هذا الوقت القصير . . .

زكى : (متظاهراً باستصغار النجاح) . . . هذه ثمرة التجربة . . . العمل الطويل . . . والمعرفة بالناس ، والصلات . . .

الزوج : (لا يكاد يملك نفسه من الانفعال) : لنسمع التسجيل . . .

زكى : شريط واحد . . .

الزوج : واحد . . . لماذا ؟

زكى : هذا هو شرطنا . . . نسمع شريطاً واحداً هنا ، والباقى وحدك . . .

الزوج : (غير فاهم) لماذا شريط واحد . . . (يهز رأسه) على كل حال لا بأس . . . (بعد لحظة صمت) أى شريط . . .

زكى : (ينظر فى أغلفة الأشرطة ، ويبدو عليه أنه لا يعرف كيف يستخرج الشريط المتفق عليه من بين الأشرطة الأخرى) أين ذهب ؟ . . . لقد وضعت عليه علامة . . . هذا هو . . . أبداً . . . ليس هو . . .

الزوج : الشرط أنى لا أسمع إلا شريطاً واحداً . . . ضع أى شريط .

زكى : أين ذهب الشريط . . . (ينظر إلى عنوان شريط) لا . . . ولا هذا . . . لا مفر من أن نضع أى شريط . . . (يضع الشريط ، وتبدأ الآلة تدور . يسمع الزوج الشريط باهتمام عظيم وعصبية تبدو واضحة فى حركاته وطريقة جلسته) . . .

(يسمع حواراً تليفونياً بين رجل وامرأة) .

المرأة : هالو . . . هالو . . . صباح الخير . . .

الرجل : (لا يبدو صوته واضحاً بقدر كاف) . . .

المرأة : أنا لا أسمعك جيداً . . . أين أنت أيها الكذّاب الفرّار . . . متى ؟ .

الرجل : (صوته غير واضح أيضاً) . . .

المرأة : أين ذهب لسانك ؟ . . . لماذا لا تنطق ؟ . . . ولكن يكفيني أن تسمع . . . إن خطواتك الآن مسجلة عندى بالصورة

الرجل : (صوته غير واضح أيضاً) . . .

والصوت . . . ولدى عدد لا بأس به من خطاباتك ، إنك لن تضحك علىّ بعد اليوم . . .

الرجل : (صوته عال) : ماذا تقولين ؟ . خطابات وتسجيلات . . . لماذا هذا كله ؟

المرأة : لأنك جعلتنى سخرية الناس . . . كل ذلك من أجل بروش اتضح أنه من أحط أنواع الماس . . .

الرجل : أحط أنواع الماس . . . عندى الفاتورة . . . إنه بـ ١٥٠٠ جنيه .

المرأة : ولكنك كسبت من زوجى مقابل هذا المبلغ الحقير ١٥ ألف جنيه . . .

الرجل : أنت تكذبين . . .

(الزوج يقف صارخاً)

الزوج : أوقف هذا التسجيل . . . هذا الصوت صوتى أنا . . . هذا التسجيل ضدى . . . ليست هذه زوجتى . . .

زكى : ماذا تقول ؟ . . .

الزوج : أقول إنك مغفل . . . مغفل حقير . . . أو إنك شرير تريد أن تستغفلنى.. أنت تواطأت مع زوجتى ضدى .

زكى : أنا لا أفهم شيئاً . . . ماذا تقول ؟

الزوج : تفهم أولا تفهم لا يهمنى . . . المهم أن هذا التسجيل ضدى . . . من الذى سجله (يهجم على لفة الأوراق) وماذا فى هذه الصور . . . عال . . . عال هذه صور لى أنا أيضاً . . . هذه صور ملفقة . . . هذه صورة لى مع حرم وزير (إنشاءات بعد الحرب) وهذه صورة لى مع زوجة وزير (الرقابة على الوظائف) وهذه مع زوجة سفير برانكوفوليا . . . لقد ضعت وتحطمت . . . (يجلس ويحنى رأسه ويبدأ يبكى) .

زكى : أرجوك أن تهدأ . . . ودعنى أفهم . . .

الزوج : أنت تطلب المستحيل يا أفندى . . . أنت لن تفهم . . . ليس فى هذا المكان مخ (يضرب بأصابعه رأس زكى) هل أستطيع أن أفهمك أن زوجتى كانت تراقبنى أنا . . . وأنها خدعتنى إلى الحد الذى أوهمتنى فيه أن لها علاقات فى إمكانى بشىء من المهارة والصبر أن أضبطها . . . لقد أوحت إلى بخبثها بأن أجرب مطاردتها . . . أية إبليسة هذه المتباهلة . . . المتماوتة . . . الآن فى فى يدها مستندات لو سلمت لأعدائى لأفلست تماماً . . . ماذا أفعل؟ ما هو طريق النجاة ؟ !

زكى : الصلح . . .

الزوج : مع من ؟

زكى : مع زوجتك . . .

الزوج : وهل تقبل الصلح الآن ، بعد أن استدرجتنى لهذا الموقف المخزى ، لقد ظننت أن بوسعى أن أحطمها ، وأحطم كبرياءها وأن أفنيها من الوجود . . . ومثلت دور الفريسة التى قعت

في الفخ . . . وهجمت بكل قواى . . . بكل أموالى ونفوذى الهاوية . . . هل مت ؟ أتحطمت نهائياً ، أم لا يزال فى بقية من حياة . . .

زكى : لا . . . أنت حى ، قف على قدميك .

الزوج : فى مثل هذه المواقف ، يجب أن يقال شيء من هذا القبيل .

زكى : ولكن لو سمحت لى أن أناقش معك الموقف . . .

الزوج : مصلحتك تقتضيك أن تعرض هذا . فى المواقف البالغة السوء . . . لا بد من أناس ينتفعون من سوئها .

زكى : هل أنا ذهبت إليك ؟

الزوج : جريمتى أننى لجأت إليك .

زكى : وجريمتى أننى أريد أن أعاونك . . .

الزوج : هذا النوع من المساعدة ، هو الخراب بعينه . . . ماذا تستطيع أن تفعل يا سيدى ، زوجتى تحت يدها نسخ ثانية من كل تسجيل ، ومن كل صورة . . .

زكى : دعنا نجرب . . .

الزوج : هذا الكلام خنجر مسموم تدسه فى لحمى ، بيد غشيمة . . .

زكى : لو تهدأ قليلا . . .

الزوج : اهدأ . . . وأنا أجلس على موقد ، وأحس فى بطنى السيوف تقطع أحشائى . . .

زكى : أنت الذى تعذب نفسك .

الزوج : (يضع أصابعه فى أذنيه ويخرج وهو يردد) لا أريد أن أسمع . . . لا أريد لا أريد . . .

المشهد الخامس

الزوجة ــ الزوج

الزوج : (بصوت خافت ولهجة تذلل) هل أصدق أذنى ؟
الزوجة : نعم ، صدقها . لماذا لا تصدقها ؟
الزوج : ولكن هذا أعظم من أن يكون حقيقة . . . إنه حلم . . . بل أروع من حلم .
الزوجة : إلى هذا الحد أنت حريص على عفوى وصفحى . . .
الزوج : (يمسك بيدها ويحاول تقبيلها) ، بل أكثر من ذلك . . . أنت حياتى . . . ولكن كبرياءك هو الذى كان يدفعنى إلى هذا . . . هذا . . .
الزوجة : هذا . . . أى هذا ؟ .
الزوج : (خجلا) هذا . . . ماذا أقول ؟ العبث . . .
الزوجة : (معيدة الكلمة) العبث ؟
الزوج : الحقيقة أنه أكثر من عبث . . . إنها جرائم وفضائح . . . (تعاوده حالة الانفعال) صدقينى أنا ضحية . . .
الزوجة : لكن ، أنا نسيت الماضى . . . سأعطيك التسجيلات والصور والخطابات ، سأسلم لك أسلحتى . . . راضية وسعيدة . . .
الزوج : (مندفعاً نحوها ويحاول أن ينحنى على قدميها) أنت ملاك . . .
الزوجة : (تتراجع بتأفف وضجر) ما الذى تفعله ؟
الزوج : أنا أريد أن أقبل قدميك . . . حتى هذا الشرف لا أستحقه !

الزوجة : هذه المبالغة لا تريحنى . . .
الزوج : (يكف عن الانفعالات فجأة ويهدأ) صحيح ! ماذا تريدين منى ليكون صفحك كاملا ؟
الزوجة : لقد صفحت وكفى . . . أريد أن نعيش كآدميين . . . كرجل وامرأة .
الزوج : سنعيش . . .
الزوجة : دعنا نتكلم بعقل ، ودع هذه المواقف المسرحية . . .
الزوج : مسرحية . . . أقسم . . .
الزوجة : (تقاطعه بشدة) لا تقسم . . .
الزوج : حاضر . . .
الزوجة : ودع هذه المسكنة . . .
الزوج : حاضر . . .
الزوجة : ودع حاضر هذه أيضًا . . .
الزوج : (مرتبكًا) حا . . . حا . . .
الزوجة : اسمعنى جيداً . . .
الزوج : أنا سامع . . .
الزوجة : لقد عرفت أنك زير نساء . . . وأنك لست الملاك الذى كان يتفضل على أن أشاركه حياته . . . ولست أطلب منك إلا شيئًا واحداً ، ألا تتخذ من هداياك وقصورك ونفوذك ، موضوعات تنغزل فيها بمواهبك ومزاياك ، وفضائلك وتوهم كل الناس أن حياتك معى صدقة وتكفير عن ذنب لا تدريه وأنك أحد قديسى العصر الحديث ، وأننى شيطانة . . .
الزوج : (يهز رأسه) .
الزوجة : وأظن أنه بعد طول صبرى أستحق هذا . . .

الزوج : بلا شك .

الزوجة : وشيء آخر .

الزوج : (بأدب شديد) أفندم .

الزوجة : (بضحكة قصيرة) لطيفة حكاية أفندم هذه . . . لا تظن أني أريد أن أفرض نفسي عليك ، فالغالب بعد أن عرفت أني أعرفك على حقيقتك ألا تكون حياتنا طبيعية وأن تجرى الأمور بيننا بسهولة .

الزوج : لا . . . لا . . . والله .

الزوجة : لا تعد إلى الأيمان المغلظة . . . كيف لا . . . لا . . . والله (تقلده) ، لو كنت مكانك لطلقت زوجتى فى الحال . . . فبعد كل ما حدث لا يمكن أن نعود زوجين إلا إذا حدث المستحيل . . . والمستحيل يحدث أحياناً .

الزوج : الحمد لله أنك لست الزوج . . . أما عن المستحيل فحياة الناس هذه الأيام هى حياة المستحيلات .

الزوجة : (تنظر إليه فى عينيه محدقة لفترة ثم تبتسم ابتسامة من يرى طفلا صغيراً يقول كلاماً أكبر منه) برافو برافو . . . لقد أصبحت فيلسوفاً .

الزوج : وقد حدث هذا بالفعل (يشير إلى نفسه) .

الزوجة : ما هذا الظرف والتواضع أيضاً .

الزوج : هذا أقل ما فيها . . . تواضع وشعور بالانكسار والانحسار وبالإفلاس والاحتباس وبكل ما يخطر لك على بال .

الزوجة : لكن هذا الاعتراف يجعلنى أغير رأيى .

الزوج : أرجوك غير يه (يندفع نحوها ويحاول خطف يدها) .
الزوجة : هل تعرف إلى أى اتجاه سيتغير .
الزوج : التغيير خير من الجمود . . . التغيير ولو إلى أسوأ تغيير على كل حال . ولكن أملي أن يكون التغيير إلى الأحسن يا عزيزتى .
الزوجة : (مقهقهة) جميلة جدا « يا عزيزتى » هذه . . . طبيعية وبسيطة .
الزوج : (مأخوذاً) أنا قلت يا عزيزتى ؟
الزوجة : قلتها وبحرارة وصدق . . . لقد بلغت أنا الآن درجة التفاؤل .
الزوج : تفاءلت . . . متى ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ . . . أنا لم أعد أعرف رأسى من رجلى .
الزوجة : (مسرورة سروراً صادقاً) أن يراك الإنسان طبيعياً . . . وأن تتخلى عن كونك (بالونة) منفوخة تكاد تصل إلى السماء مع أنها فارغة ومصنوعة من مصارين .
الزوج : الله يسامحك .
الزوجة : (مهددة) هل لك اعتراض ؟
الزوج : (متقهقراً فى الحال) اعتراض . لا سمح الله . ولكن أرجو استعمال الرأفة معى . . . لا داعى للتشبيهات القاسية .
الزوجة : ألا تقولون القافية تحكم .
الزوج : (منبسطاً) دعى القافية تحكم . . . ولا تبالى . وماذا بعد هذه البالونة المصنوعة من المصارين. مصارين كلب . بالونة تطير فى الهواء هل فقشت واسترحت ؟

الزوجة : (فقئت . . تلوح بيدها كأنما تدفع شراً) لا قدر الله . . . لا نريد أن تفقأ وإنما نريد لها أن تهبط إلى الأرض بسهولة ثم تملؤها شيئًا نافعًا .

الزوج : (يكاد يقع على ركبتيه) املئيها . . . كما تريدين . . . غاز الهليون لتكون منطاداً . . . الأوكسيجين لتكون قنبلة . بنبون وحلويات لتكون هدية لطفل يتيم أومريض فى مستشفى . . افعلى . . . افعلى ما تشائين (ويهم على يديها ثم يقبلها فتضحك فيهجم عليها ويقبلها فوق شفتيها قبلة طويلة فتمانع أولا ثم تستسلم ثم تطول القبلة) .

الزوجة : (تجلس صامتة فترة وهى مسترخية ثم تجمع شتات نفسها وقد بدأ الانفعال يدب إلى صوتها) أشكرك .

الزوج : (مرتبكًا وهو يتلفت حول نفسه) هذا الكلام لى أنا ؟

الزوجة : (تمد يدها إليه فتجلسه إلى جوارها وتربت على ركبتيه بخفة وحنان وتأثر حقيقى) هذه أول قبلة فى حياتى .

الزوج : بعد عشرين عامًا .

الزوجة : كانت عشرون عامًا جافة مجدبة قاحلة قالت لى هذه القبلة . . كلامًا كثيراً . كثيراً جداً .

الزوج : (فى فضول) صحيح . . . ماذا قالت ؟

الزوجة : قالت : إنك يمكن أن تكون إنسانًا ، ويمكن أن تحب ، ويمكن أن توقف قليلا إعجابك الشديد بنفسك .

الزوج : (متأثراً) وهل صدقت هذا الكلام .

الزوجة : سأحاول .

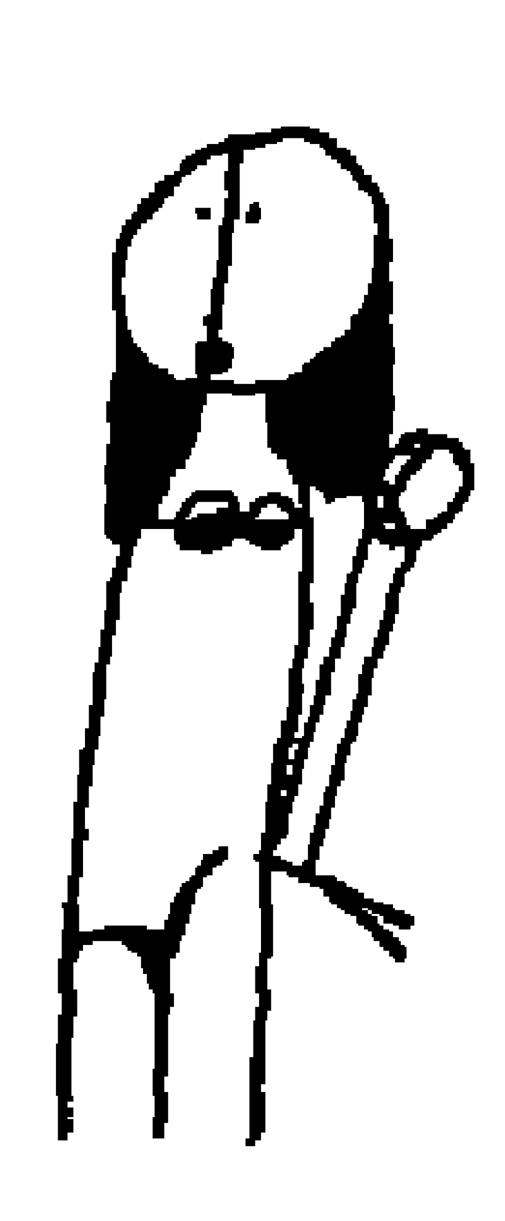
الزوج : (بخيبة أمل) ستحاولين فقط . . .

الزوجة : من يدرى فقد تكون هذه القبلة . . .

الزوج : (لا يدعها تتم الكلام فيهجم عليها ويقبلها ثانية فتطوق عنقه بذراعيها .

(يدخل زكي ويفتح الباب وينظر فتصدمه المفاجأة ويبقى مأخوذاً لا يفهم . . . يرفع حاجبيه فى تساؤل ثم كتفيه . ينتبهان إليه فيسرعان إليه ويأخذانه بينهما . . كل منهما (يمسكه من ذراع ثم يقول الثلاثة كأنما يغنون) .
الأبحاث الإنسانية . . .

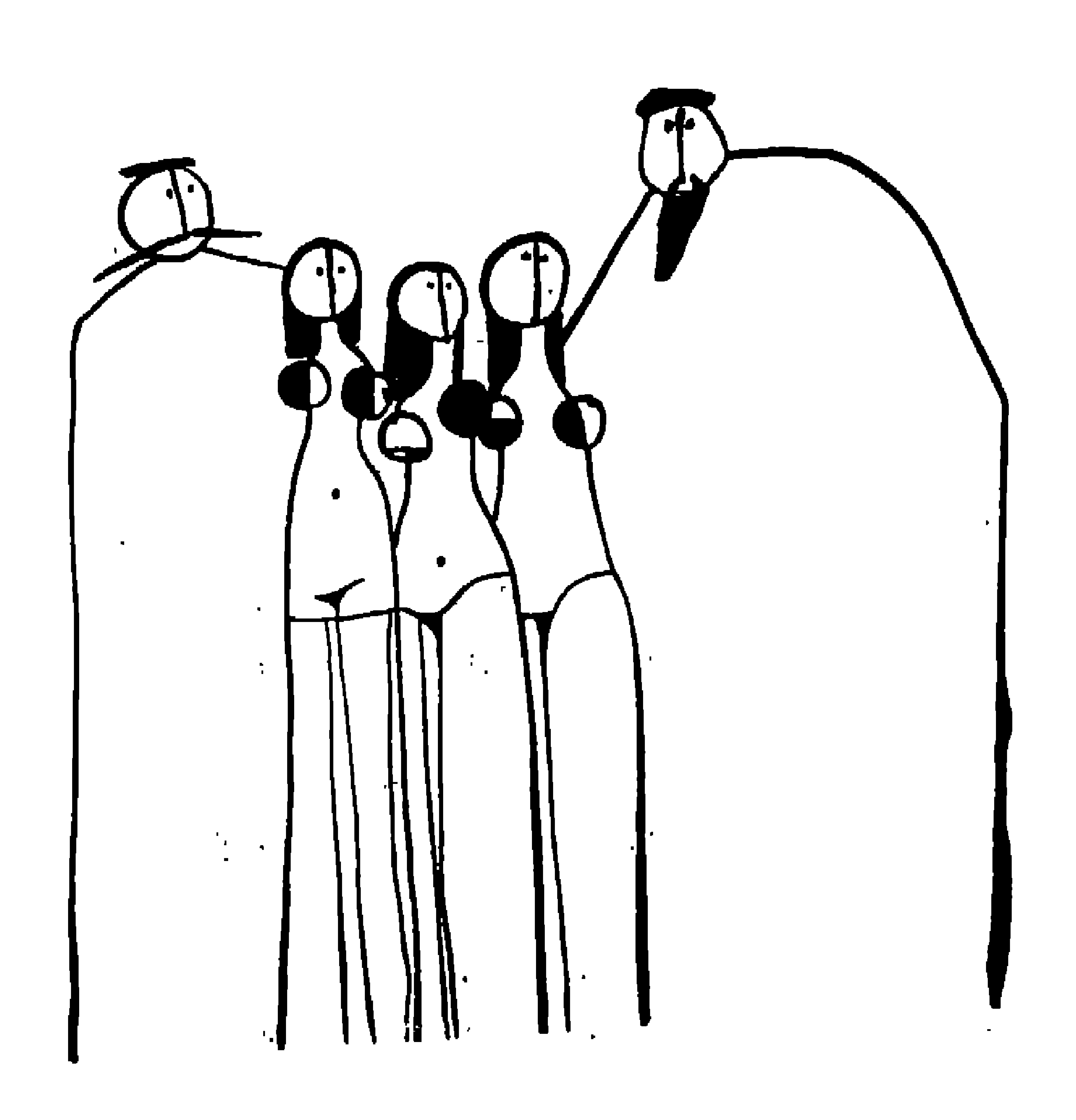
(ستار)



موعظة آخر الليل

شارع يبدو الفقر والقدم على مبانيه . يمتد عرضاً ، وفى نهاية المنظر من ناحية اليمين بالنسبة للنظارة فانوس من فوانيس الطرق يضاء بغاز الاستصباح ، ذبالته خافتة وزجاجه معتم ، وأحد جوانبه الزجاجية محطمة يقع الفانوس على إفريز حافة من البلاط الحجرى المتآكل ، ويقع على الإفريز مبنى من دورين من الطوب الأحمر الذى استحال لونه للقدم وبفعل غبار السنين الطويلة ودخان المداخن المتصاعد من المصانع المجاورة إلى سواد باب المبنى موارب وهو من الخشب الأخضر القاتم . وذوافذ المبنى مربعة تشبه طاقات السجون والملاجئ . تجلس على باب المبنى سيدة فى ثوب قديم ، مهلهل من الحرير الذى لا يستطيع أن تعرف لونه بسهولة ، وهو يكشف عن ذراعيها الناحلتين ، وصدرها الذى يدل على فقر وربما مرض صدرى أيضاً ، وهى تضع ساقاً على ساق وهى بهذا الواضع تكشف عن أكثر ساقيها ، وإن كانت تفعل ذلك بغير اكتراث . وجهها ملطخ بمساحيق كأنما وضعت على وجهها ، بفرشاة يد عابثة ، فالاحمر مختلط بالأسود ، أما شعرها فثائر ، وفى يدها جزء صغير من سيجارة ، تنفث منه مرتين ، ثم تلفظها بأصبعها وكأنما تبصقها . تدندن قليلا ، فى صوت كئيب ، ثم تعبث بشعرها ، وتهز رأسها ، وتديره ببطء ناحية الفانوس . السيدة تسعل من حين إلى آخر سعالا خفيفاً متقطعاً .

يشاهد « الواعظ » تحت الفانوس ، ممدد الساقين ، مستنداً بظهره إلى عمود الفانوس ، وقد تلطخ وجهه بالدم ، وتمزقت ياقة قميصه ، يبدو مغمض العينين ، ثم يفتحهما ببطء .
تقع عيون السيدة عليه . .



السيدة : إيه . . . ماذا هنالك . . . متى ظهرت ؟ . من أين خرجت من البالوعة ؟ . البالوعة مسدودة . . . مسدودة تماماً (ضحكة قصيرة بلا فرح) . البالوعة لا تسمح بخروج فأر واحد . . . ولكن من يدرى ، فالإنسان أكثر مهارة من الفئران ومن الشياطين أيضاً . يا للمفاجأة السارة لصديقتنا صديقتنا التى تسكن فوق . صديقتنا التى كانت تصرخ لأن البالوعة سدت ولأن رائحتها الكريهة شملت الحى كله . . . الرائحة الكريهة (ضحكة باستهزاء) رائحة كريهة . . . كأن هذا الحى يعرف الروائح اللطيفة . . .

(تميل السيدة بكل جسمها ناحية الواعظ الذى يبدو أنه لم يسمع شيئاً مما تقوله السيدة) .

السيدة : (مستمرة فى توجيه كلامها إلى الواعظ وهى جالسة على المقعد وقد مالت به على قائمتيه الأماميتين) . . . قم . . . لا تسمع . . . تعبان . . . مسكين (تتوقف قليلا وتتأمل فى وجهه من بعيد) أوه . . . دم . . . خمر كثير ، ثم علقة ساخنة . . . (تتحرك ببطء نحوه) .

الواعظ : (يدير رأسه نحوها ويمسح شيئاً من الدم من فوق وجهه ولا يتكلم) .

السيدة : (تقترب منه ، ثم تجلس إلى جانبه وتنظر إليه مدققة ، وقد بدأت تهتم) ماذا ؟ ما الذى تلبسه ؟ لا يبدو أنك من أصحاب

الوجوه التى نعرفها هنا ! غشيم أراد أن يجرب حظه ، فوقع فى أيدى فتوات حينا ؟ « تستاهل » . . . ولكن لا ، المسألة أعقد من ذلك بكثير .

الواعظ : قليل من الماء . . . من فضلك . . .

السيدة : من عينى ، ولكن قل لى برب السماء ماذا حدث لك ؟ .

الواعظ : (يحاول أن يثنى ساقيه فيجد فى ذلك عناء ، يتنفس بشدة ، ويهز رأسه فى محاولة لإقامة نفسه) .

السيدة : لا شىء ، كل هذا ولا شىء . ماذا يمكن أن يكون هذا الشىء . . . دم فوق وجهك وملابس ممزقة ... وأنت لا تستطيع أن تأخذ نفساً . . . (تتوقف ثم تستأنف الكلام وكأنما توجهه لشخص آخر) ما أعجب كلام الناس . . . إنهم يتركون ألسنتهم تهذى بأى شىء . (سعالها يشتد قليلا) .

الواعظ : كوب ماء .

السيدة : (بنفس لهجتها الأولى عند ما طلب الماء) من عينى . . . ولكن أى ريح ألقت بك إلى هنا . . .

الواعظ : جئت . . . (بصعوبة) جئت بنفسى . . . كان يجب أن أجىء . . .

السيدة : (تجلس إلى جواره فى غير كلفة) . كان يجب أن تجىء (مفكرة) هيه . تعرف أحداً هنا . . .

الواعظ : (مرتبكاً وعلى شفتيه ابتسامة مترددة) لا . . . لا . . . لا . . . أبداً . . .

السيدة : ما دمت لا تعرف أحداً منا . . . إيزابيل . . . جا كلين . . . فورتنيه . . . لماذا جئت ؟ . . . مجرد فضول (تصفع كتفه

بأطراف أصابعها) يا للرجال !

الواعظ : (فى صوت خافت) لا . . . لا . . . ليس فضولا . . .

السيدة : إذن ماذا ؟ . . .

الواعظ : مجرد زيارة . . .

السيدة : أمرك عجيب . . . زيارة من ، وأنت لا تعرف أحداً هنا هل تعرف ببا مثلا ؟ . . .

الواعظ : من ؟ . . .

السيدة : ببا . . . مادلين . . . روزا ؟ . . .

الواعظ : لا . . . ولا واحدة . كنت أريد أن أتعرف . . .

السيدة : (فى ضحكة فاجرة) . أهلا بك . . . وهل تعرفت ؟

الواعظ : (يهز رأسه) ! !

السيدة : (تقرب وجهها من وجهه) وهل تعرفت ؟ الظاهر أن المعرفة كانت على غاية ما يرام . . . قميص ممزق ودم . . . هل حطموا أنفك . . . (فجأة كمن تذكر شيئاً كان غائباً عن ذاكرته) محفظتك ، هل تفقدت محفظتك . (تدس يدها فى جيبه الداخلى ثم تخرج يدها فارغة) نهار أبيض . . . المحفظة ضاعت . . .

الواعظ : (فى خجل) لم يكن معى محفظة . . .

السيدة : (صارخة) ليس عندك محفظة ، وتأتى للزيارة والتعرف هنا . . . « تهبب » ماذا هنا ؟

الواعظ : ما دخل المحفظة فى الزيارة . . . والتعرف ؟

السيدة : أأنت مجنون أم تتعابط . زيارة مجاناً . . . هل قالوا لك إننا نستقبل الناس على سبيل المساعدة . . . لم يبق إلا هذا . . . ليس هذا ملجأ خيرياً . . . (يقطع السعال كلامها) . . .

الواعظ : أنا عارف . . .

السيدة : وما دمت تعرف فلماذا تتعابط ؟

الواعظ : (يسكت)

السيدة : (تقرب وجهها بشدة من وجهه وتدير عينيها فيه كأنما تحاول أن تحل رموزاً مكتوبة على صفحة وجهه) . قل لى . أيكون فى عقلك شىء ؟

الواعظ : ضرورى . . .

السيدة : (تقهقه قهقهة طبيعية غير مصطنعة ثم تتوقف فجأة) بصراحة أنت رجل ظريف . هل تعرف هذا ؟ قل الحق هل تعرف أنك رجل ظريف هل تعرف هذا ؟ قل الحق هل جئت لزيارتنا وليس فى جيبك محفظة . وما أخبث الرجال . كل منهم يعرف أصغر وسائلهم فى اصطيادنا . . . نحن المغلوبات على أمرنا . . .

الواعظ : (متحرجاً) قليلا من الماء . . .

السيدة : من عينى (تتوقف فجأة) . قليل من ماذا ؟ . ماء ، ألم أعطك ماء حتى الآن ؟ . يا للشيطان ! أنت تشكو ناراً فى جوفك ، وأنا أثرثر ، وأكركر ، وأهذى ، ولا أعطيك ماء . من عينى . سأعطيك ماء ، من عينى . . .

الواعظ : (ممتناً وخجلاً فى وقت واحد) أشكرك . . .

السيدة : شكر على أى شىء . . . أنا لم أفعل شيئاً . . . أنت طلبت ماء ، وجوفك يغلى كبركان ، وأنا اثرثر وأثرثر وأكركر ، وأقول وأعيد ، وأهذى ، ولا أعطيك ماء . من عينى يا حبيبى . ولكن أتعرف لماذا لم أعطك ماء . لأنك ظريف ، شىء ما فيك يجذبنى إليك فلا يدعنى أذهب ولو لحظة . . .

وشعورى بأنك تائه . . . وأنك لا تعرف رأسك من رجليك . . .

(الواعظ يبسط ذراعيه فى امتداد كتفيه ببطء شديد ، ثم ساقيه . ثم يدير رأسه يمينًا ويسارًا ، ثم يأخذ نفسًا طويلا ، ويبدو أنه أصبح أحسن حالا ، وأنه استعاد ثقته بنفسه ، ثم اتجه بنبرة أقوى كثيراً) .

الواعظ : اسمعى يا أختى . . .

السيدة : (منفجرة بضحكة رنانة ، تدل على مفاجأة شديدة) يا أختى . . . إلا هذا . . . أختى ! ما أظرفك !

الواعظ : (فى ثبات) اقتربى منى قليلا ، واسمعينى للحظة . . .

السيدة : (تقف وأصابعها فى خاصرتها) أسمعك . . . أسمع ماذا ؟

الواعظ : الظاهر أنك قديمة فى هذا . . . هذا . . . (يتردد) فى هذا الـ . . . كا . . .ن .

السيدة : الله يخجلك يا بعيد . . . قديمة . ألم يفتح الله عليك بكلمة أحسن . . من (قديمة) هذه ؟ . . .

الواعظ : لا تؤاخذينى . . . أردت أن أقول إنك تعرفين الحى جيداً

السيدة : جيداً ؟ فقط ؟ جيداً جداً . ماذا تريد منه ؟

الواعظ : أقصد . . . أريد . . . الحق أننى لا أعرف كيف أبتدئ

السيدة : (تقترب منه) قل ولا يهمك . . .

الواعظ : أريد أن أعرف هل حدث أن إحدى السيدات الساكنات . السيدات زميلاتك خرجت من هذا الحى . . . تركته . . . ضاقت . . . قرفت شعرت بالقرف .

السيدة : السيدات . . . لطيفة أيضًا هذه . . . سيدات من يا لوح ؟

(تتوقف فجأة) أتكون واحداً من هؤلاء . . . إياك . . .

الواعظ : (وقد داخله خوف حقيقى) . هؤلاء ؟ من يكونون هؤلاء ؟ !

السيدة : لا . . . لا . . . لا تحاول اللعب بى . . . أنت تعرف وأنا أعرف . . .

الواعظ : (محاولا الابتسام) صدقينى أننى لا أعرف . . . ماذا تقصدين ؟

السيدة : (ضاحكة فى مودة) أنت ظريف . . . ظريف ، ولكن لا تأكل بعقلى حلاوة . . . الآن وقد هدأت . . . ظهرت صورتك على حقيقتها . . . فأنت منهم للأسف الشديد . . . ماذا فى عقولكم أيها الوعاظ . . . مملكة السماء والتوبة والعودة إلى أحضان الله . . . (منفعلة) أحضان الله ! ولكن مملكة الله التى تمثلونها أنتم باردة تتعالى علينا ، ولا يكف مندوبوها عن الوعظ والإرشاد . . . وكأنه لا يوجد فيها من يرى ما يحدث فى دنيانا هذه . إذا فتحت فمك بكلمة واحدة من هذا الطراز . . . فسأحطم عنقك . فاهم (مقتربة منه وكأنها تنوى شراً) .

الواعظ : فاهم . . . فاهم . . . ولكن أنت نسيت كوب الماء . . . أنا عطشان . . .

السيدة : (منفجرة فى الضحك) صحيح . . . أنت طلبت ماء . . . من عينى . . . (تتجه نحو بابها ثم تقف) الله يخيبك يا بعيد . . وساكت طول الوقت . . ألم أقل إنكم من صنف آخر . . . وعاظ (والضحك والانفعال يزيدان من نوبة السعال) . . .

(يلوح الشرطى من بعيد — ناحية اليمين من المسرح بيده عصا يلعب بها بين أصابعه ويسير فى تؤدة وثقة و إصرار على الفتك بالمرأة) .

السيدة : (مرتبكة) يا للشيطان ! . . . ها هو ذا قد ظهر . . . باسم الله الحفيظ . . . انظر إليه كيف يسير مختالا . . . هذا هو الإله الذى نعرفه فى هذه الناحية . . . هو رسول العناية الإلهية . . . (بعد لحظة) على الأقل . . .

الواعظ : (فى إشفاق حقيقى ماداً يده نحو المرأة) لا تجزعى يا أختى . . . لا تجزعى . . . (يحاول الوقوف) .

السيدة : (مبعدة يده عنها) كفى تخريفاً . . . ماذا تفعل أنت مع شرطى . . . هل عندك بخور . . . يبعده عنا ؟

الشرطى : (وهو يقترب) ماذا تفعلين هنا يا قذرة !

السيدة : (مرتبكة) أبونا هذا ضربوه . . . ويطلب ماء . . .

(يقف الشرطى أمام الواعظ ويتأمله وهو يهز إحدى ساقيه فى استمتاع واضح بالسلطة) .

الشرطى : هيه . . . ماذا حدث ؟

الواعظ : كل خير . . .

الشرطى : (ضاحكاً ضحكة قصيرة) كل خير . . . هذا واضح . . . هذا الدم . . . أين ذهبوا ؟

الواعظ : ذهبوا ؟ من تعنى ؟

الشرطى : (لامساً كتفه بطرف عصاه) لا تتباله . . . أعنى الذين ضربوك . . .

الواعظ : أنا لا أذكر . . . أو الحقيقة . . . الأمر لا يهم . . .

الشرطى : لا يهمك ان تضرب . . . ولكن يهمنى أنا . . . أنت حر

التصرف فى أنفك ووجهك . . . ولكن أنا هنا : لأصطاد هذه الجرذان . . . أنت واعظ حقيقى . . . أم واحد من الهواة . . . معك بطاقة شخصية ؟

(تبدأ نوافذ الدور المجاورة تفتح وتطل من هنا ومن هناك ، نساء فى ملابس فاضحة حمراء) .

الواعظ : (يضع يده فى جيبه ويخرجها خالية من كل شىء ويهز رأسه) .

الشرطى : (مهتماً) آه . . . الموقف يتعقد . . . سرقوك . . . أخذوا محفظتك (موجهاً الكلام إلى المرأة ماداً يده نحوها محركاً أصابعه على شكل يوحى بأنه يريد أن يسترد منها شيئاً) هات المحفظة . . .

السيدة : (تصرخ بفزع حقيقى) المحفظة ! . . . حد الله ما أخذت منه شيئاً . . .

الشرطى : (ممسكاً بيد المرأة من معصمها) لا تنبحى أيتها الكلبة . . . هات المحفظة . . . اذهبى إلى وكرك . . . وهات المحفظة (إلى الواعظ) كم جنيهاً كانت فى المحفظة ؟

الواعظ : لم يكن معى محفظة . . . أو الأصح لم يكن فيها نقود . . .

الشرطى : لا تمثل معى دور السيد المسيح . . . من لطمك على خدك الأيمن ، وحكاية مريم المجدلية لا تنفع فى هذا الحى . ومفتش القسم ، لا يأكل من هذا الكلام . . . لصوص وفتوات وعصبجية يجب القبض عليهم . . .

الواعظ : صدقنى لم يكن معى نقود .

الشرطى : قل هذا الكلام لغيرى . . . أنا أعرف أن الكنيسة وآباءنا الروحيين يعرفون كيف يجمعون المال طبعاً ليوزعوه على خراف

الرب الضعيفة . . . هل أتيت هنا لتشاهد سيقان ريتا وريرى . . . أم لتستدرجهن إلى الرب . . . بماذا ؟ . . . بطعام ونقود وكلام طبعًا . . .

الشرطي : (متجهًا إلى المرأة) لا تزالين هنا . . . اذهبى يا ابنة الـ . . . هات المحفظة وإلا . . . كسرت رقبتك ورقبة أمك . . .

السيدة : (فى خوف) والله . . .

الشرطي : (صارخًا) اخرسى . . . لا تحلفى . . . ثم كيف تركت مكانك على عتبة منزلك . . . ألا تعرفين أن هذا ممنوع .

السيدة : كان الرجل مصابًا . . . وكان مطروحًا تحت الفانوس . . .

الشرطي : ومن الذى أصابه . . . من الذى طرحه . . . عفاريت خرجوا من الأرض . . . أليس رفيقك واحداً منهم . . . هم يضربون ويسرقون . . . وأنت تواسين وتمثلين دور الملاك . . .

السيدة : (وهى تبكى بكاء حقيقيًّا) والله . . .

الشرطي : (يقترب منها واضعًا عصاه تحت إبطه وبعصبية وضيق يصفعها بظهر كفه فيسيل دمها) اخرسى . . . ما لك أنت والله . . .

الواعظ : (يقف منتفضا وبقوة مفاجئة وغضب يكاد يغلبه على أمره) لا تمد إليها يداً . . .

الشرطي : (وقد فوجىء بهذا الأمر) لا تتدخل فيما لا تفهم . . . (متجهًا إلى المرأة) ادخلى إلى وكرك . يا أنجس خلق الله . . وهات لى المحفظة . . . هذا الملاك الأسود لن ينفعك . . . وقد رأيت كيف حطم أنفه صاحبك وجرى .

الواعظ : (متجهـًا إلى الشرطى بخطوة جعلته يقف أمامه منه وجهـًا لوجه) أنا أمنعك . . .

الشرطى : (وقد ضعفت ثقته بنفسه) تمنعنى (يسحب العصا من تحت إبطه ويديرها فى الهواء) تمنعنى بأى حق ؟ ثم أرنى كيف تمنعنى . وأنت مرتكب مخالفة ؟ !

الواعظ : (فى توتر) افعل بى ما تشاء . . . ولكن دعها . . .

الشرطى : هذه اللبؤة ممنوعة من أن تتخطى عتبة بيتها . . . ولكنى ضبطتها تجلس معك ، هذا ممنوع . . . وأنت شريك .

الواعظ : (هادئـًا) أنا أعرف . . . قدنى إلى مركز الشرطة . . . ولكن لا تمد إليها يداً .

الشرطى : (وقد غلبته الحيرة) أنا هنا أنفذ القانون . . .

الواعظ : (فى هدوء) وأنا جئت لأتحدى القانون . . .

الشرطى : (متظاهراً بنفاد الصبر ويحاول أن يزيحه من طريقه فى رفق وعدم اكتراث) شبعنا من هذا . . . أنتم لاتصلون لشىء تضربون على أقفيتكم . . وتسرق محافظكم ، وتسيل دماؤكم . . . وتعطلوننا عن عملنا (منقضًا على المرأة فجأة) سيرى أمامى . . . ادخلى إلى وكرك ، وأرينى أين خبأت المحفظة .

الواعظ : (خارجا عن حلمه ، ممسكـًا بيدى الشرطى) لم يكن معى محفظة ، أفاهم أنت ؟ يجب أن تفهم . . .

الشرطى : (مأخوذاً بقوة الواعظ البدنية) هيه . . . هيه . . . أكنت ملاكـًا أيها الأب المحترم . . . لك يدان قويتان . . .

الواعظ : (مكملا الكلام) وعند اللزوم أستطيع أن أضرب .

الشرطى : (ضاحكـًا بسخرية) تضرب ؟ ! أليس هذا ممنوعـًا . . .

عندكم ، أما إنكم تبيحون ضرب القانون ، وتفيضون حنانًا على نعاج الله الضالة . . . اللطف معكم لا ينفع . . .
لا بد من شيء يعيدكم إلى عقولكم . . .

(تفتح المنازل أبوابها ويشاهد على باب أكثر البيوت نساء ، بعضهن كن ممن أطللن من النوافذ عند بدء المشادة . الشرطي ينظر إلى المرأة وقد اشتد سعالها واحتقن وجهها بالدم ، من فرط قوة نوبة السعال) .

الشرطي : مثلى . . . مثلى أيتها الحرباءة . . . إن ملاكك فى غير حاجة إلى كل هذه الحيل . . .

الواعظ : (متأثراً للغاية) قليلا من الماء . . . أتريدين ماء ؟

السيدة : (شاعرة بخجل حقيقى) ماء . . . أنا لم أحضر لك الماء الذى طلبته حتى الآن . . . كم أنا فظيعة !

الشرطي : كنت مشغولة بالمحفظة !

(تجرى نحو بيتها فيجذبها الشرطي من يدها) ، إلى أين ؟

السيدة : سأحضر له ماء . . .

الشرطي : والمحفظة ؟

الواعظ : دعها . . . لم يكن معى محفظة . . .

(تجرى ، المرأة فى لهفة نحو بيتها فتنكفئ على وجهها فيعدو الواعظ نحوها . . . ويلملم أشياء وقعت منها . . . يرى منها تعويذة وصورة طفل. الواعظ يرد إليها التعويذة والصورة وقد اشتد سعالها فانحنت على نفسها حتى قارب رأسها ركبتيها . تقترب بعض النسوة قليلا من موضع سقوط المرأة ، فى شكل دائرة ، ويحطن بها وبالواعظ وبالشرطي . . .

فترة صمت طويلة ، لا يفعل الشرطى خلالها إلا أن يعبث بعصاه فى شكل دائرة ، من العصبية والغيظ والحيرة) .

إحدى النسوة : (توجه الكلام إلى الشرطى) المحفظة . . . المحفظة . . . المحفظة . . . عفريت اسمه المحفظة . . . وهذا السعال الذى يمزق صدرها . . . لا . . .

الشرطى : هل أنا الذى نقلت إليها العدوى . . . انظرى من أى كلب أخذته . . .

المرأة الثانية : (وقد اقتربت من الشرطى والواعظ والمرأة ، ووصلت إلى مركز الدائرة) نعم أنت الذى نقلت إليها العدوى . . .

الشرطى : (ناظراً إلى الواعظ وضاحكاً بصدق) يا حضرة الواعظ . . . أهنئك . . . هذه مساعد لك . . .

للواعظ : (متجهاً إلى المرأة فى امتهان) أنا فى حاجة إليك . . .

المرأة : (غير ملتفتة إليه) لا تهمنى أنت . . . ولا الشرطى . . . كل منكما يساعد الآخر . . . هو يضرب ، وأنت تضع مرهما مكان الضرب . . . ونحن الذين نضرب !

الواعظ : (مأخوذاً) ماذا تقولين يا أختى ؟ . . .

المرأة : أقول هذه المرأة مصابة بالسل . . . ولكن يجب أن تعمل . . . وهى تعمل . . . الحكومة ترى عملها ضرورياً وأنت ترانا ضحايا ، والمجتمع يبصق علينا . . . ونحن فى مكاننا لا نتغير .

الواعظ : صحيح . . . صحيح وحق السماء . . .

المرأة : حق السماء وحق الأرض ، لا يهمنى . . . المهم أن هذه المرأة مصابة بالسل ، وعليها أن تسهر . . . وتسكر ، لأن عندها طفلا (تهجم على المرأة الساقطة فى الأرض

وتنتزع منها صورة الطفل ، وتلصقها بأنف الشرطى وأنف الواعظ) هل رأيت أجمل من هذا الطفل ؟ . . . إنه يتعلم بعيداً عنها . . . ومن أجله تعمل هذه المسكينة (يشتد السعال) .

المرأة : (تتوقف غاضبة) : احبسى هذا السعال . . . دعينى أتكلم .. إن صوت سعالك يشوش ذهنى . إن سعالها يستمر ، والشرطى معه عصاً يهددنا بها ، والواعظ يبكى ألماً . وفى داخل هذه البيوت أخريات فى طريقهن إلى السل والموت . . . لا العصا ولا الموعظة ! (ترمى بالصورة إلى الأرض فلا تمد يدها إليها) .

الشرطى : العصا هى وحدها التى تنفع حينما تقع على ظهر كلبة تنبح مثلك !

المرأة : كيف ؟ إذا لم أنبح ، فسيستمر سعال هذه . . . وستسمع سعال غيرها إن أردت .

الشرطى : فى داهية الجميع ! لماذا جئن إلى هنا ؟ فى المدينة عمل . عمل شريف . . .

المرأة : يا سيدى إنها قصة طويلة . وما نعمله يعمله غيرنا . . . بأسماء أخرى . ولكنها كلها دعارة . . .

(ينحنى الواعظ ويأخذ من المرأة الواقعة على الأرض صورة الطفل) .

الواعظ : ما أجمله ! ثم هذه التعويذة !

المرأة الثانية : (مستمرة فى الكلام) من تظننى يا حضرة الباشاويش . . . أنا آتية من المدينة . . . لقد كنت سيدة مجتمع . . . ودعنى أحدثك عن هذا المجتمع . . . كانت وظيفتى هناك

كوظيفتى هنا . . . كنت أعرض جسمى على زوجى فى الصالونات والحفلات وعلى أصحابه . . . نفس المهمة ! هناك كان أجرى عقد زواج وبيتاً فاخراً وسيارة وأكلا شهياً ، وحياة قلقة وخوفاً مستمراً ، ودسائس لا تنتهى . . . كنت مصيدة لزوجى ، أحضر له بجمالى الرجال ذوى الطموح السياسى ، والشبان الطامعين فىّ ، وبقدر ظرفى ولطفى ، وإثارتى للشهوات والأطماع ، يكبر مقدارى عند زوجى ، ويكبر مقدار زوجى عند المجتمع . . .

الزوج الغبى هناك الذى لا يستطيع أن يغمض العين عن ملاحقات الرجال لزوجته الجميلة ، وإلا لماذا يدفع مئات الجنيهات فى ثوب واحد ، يكشف عن كل ظهرها وكل صدرها . . . إذا لم تسدد هذه البضاعة المعروضة ثمنها كانت خسارة . . . السيدة الماهرة فى ذلك المجتمع الأنيق هى التى تصل إلى حافة الأغوار ، ولا تنحدر . . . أو التى تنحدر ، ولكن لا يسمع عن انحدارها أحد . أو التى تستطيع أن تحول فضائحها إلى أقاصيص فى الصحف ، لا تعرف الصحيح فيها من الكاذب .

الشرطى : (ينظر إلى الواعظ) هل يعجبك هذا يا سيدى ؟

الواعظ : (متأملا فى الصورة) ما أجمل ! طفل جميل (المرأة تسعل) .

المرأةالثانية : (تخطف منه الصورة) جميل أو غير جميل . . . اسمع الذى أقوله . . .

الواعظ : أنا سامع .
المرأةللواعظ : هل تفهم أنك تساعد هذا الشرطى ؟
الواعظ : قولى له . . . هو يرفض مساعدتى .
المرأة : (للشرطى) هل تفهم أن هذا الواعظ يساعدك ؟
الشرطى : (فى غطرسة) هذا يساعدنى ؟ إنه معطل ، وعاجز .
المرأة : (تضع يديها فى خاصرتيها وتوجه الكلام للشرطى والواعظ) وهل تعرفان أنكما تساعدان بعضكما بعضاً ؟ . قولا لى فى أى شىء ؟
الواعظ والشرطى : فى أى شىء ؟
المرأة الثانية : فى أن يبقى هذا الحى مفتوحاً . . . لا بد من مراحيض عمومية للرجال ؛ لا بد من مقلب لقمامات المجتمع . . . ولا بد من رجل بعصا يمنع زحف المراحيض ، ورجل بدموع ، يهدئ من صرخات ضمير المجتمع ، العصا والدموع وجها الصورة .
الواعظ : (محتجاً) . أنت لا تعرفين من أكون ؟ للسيدة (فى انفعال شديد) أنا جئت لأقوض القانون ، لأتحداه ، لأقف فى وجهه . . . جئت أقول له لا تمر . . . إن عصاك لا تمنع شرا ولا تكسو جائعاً ولا تخفف سعالا . . .
السيدة : (وأصابعها فى خاصرتها) حسناً . وبعد ؟
الواعظ : جئت لأقول لكن . . .
السيدة : (فى صبر نافد) نعم . . .
الواعظ : قفن على أقدامكن . . . أرفضن هذا العار . . . لا تخجلن من أنفسكن ، فإن المجتمع الذى قذف بكن إلى هذا أسوأ منكن بكثير ... إنه لا يحق له أن يحل سيور أحذيتكن

(تقوم المرأة الساقطة من الأرض على قدميها ، وتدور حول نفسها ، فترى هل وقع شيء منها) .

السيدة : (لزميلتها) قفى يا أختى . . . واسمعى معى .

الواعظ : (مسترسلا ومتحمساً) لكيلا يتكرر العذاب المسيطر هنا . . . لا بد من أن تأتى المقاومة من هنا .

السيدة : مقدمة جميلة . المهم الباقى .

الواعظ : إذا بدأنا حسناً انتهينا حسناً .

السيدة : لكى نتنهى حسناً لا بد أن نعرف مقدماً هذه النهاية .

الواعظ : لا يقتل الإنسان إلا نفسه ، ولا يساعد الإنسان إلا نفسه . القوة تصدر عنه والضعف يأتى منه . . .

السيدة : الله لا يسيئك . . . لا تدخلن فى هذه الدوائر . . . ماذا نفعل ؟

الشرطى : إن الحديث مسل للغاية . . . ولكنه يعطلنى عن عملى . . . وعملى هو أن أبحث عن المحفظة وأقبض على من سرقها ، وأحرر محضراً لهذه الحرباءة التى خرجت من وكرها ، لتصطاد هذا الأب المحترم . . . وأحرر محضراً لأنى جمعت كل هؤلاء (يشير إلى النسوة اللاتى خرجن من دورهن والتفقن حول الشرطى والواعظ) ، هذا وحده هو الطريق الذى يمنع شر هؤلاء . . ويمنع الأب المحترم وأمثاله من أن يدسوا أنوفهم فيما لا يعرفون . . . والآن لنبحث عن المحفظة . . . وعمن ضرب أبانا وألقى به فى الأرض ، (ينظر إلى المرأة الأولى) مع احترامى الشديد لسعالك ، وللطفل الجميل ، وللتعويذة التى تدل على أن بينك وبين السماء خيطاً رفيعاً لم ينقطع ، إلى آخر هذا الشعر . . .

أعطيني المحفظة .

الواعظ : (الشرطي) ياباشاويش .

الشرطي : أفندم . . .

الواعظ : أعظم تهاني . . .

الشرطي : شكراً ، ولكن لأى شيء هذه التهاني ؟

الواعظ : لأنك تعرف طريقك ولا تريد أن تحيد عنه . ما أجمل أن يكون الإنسان عالمًا لما يريد ، وثابتًا على طريق .

الشرطي : وأعظم التمنيات لك ، بأن تعرف أنت أيضًا طريقك ، وتسير فيه ، ولا تضل في هذه الطرق المتشابكة .

الواعظ : أنا أعرف طريقي . . . ولكن بثبات أقل من ثباتك ، وبصلابة أقل من صلابتك ، وبوقاحة أقل من وقاحتك . . إن لم تضايقك هذه الصراحة .

الشرطي : (يضع يده على كتف الواعظ في مؤاخاة) بالعكس . . . هذه الصراحة تعجبني لأنها تمكنني من أن أقول لك . . . إن القانون في حاجة إلى أمثالك ، ليثبتوا للناس كم يقف القانون ثابتًا شامخًا . . . وكم يهذى أعداء القانون ، ويلعبون تحت أطراف أقدامه ، كنملة صغيرة تحت أقدام تمثال من الجرانيت !

المرأة : (ناظرة إلى الشرطي ، والواعظ قد تقاربا) ما أجمل منظركما وقد وقف أحدكما إلى جانب الآخر . . . دعوني أتأملكما . . نعم ، ما أشبه الواحد منكما بصاحبه .

الواعظ : (محاولا الابتعاد عن الشرطي ، فيمسكه الشرطي بيده) أنا أشبه هذا ؟

المرأة : (في هدوء وبحزم) نعم . . .

الواعظ : أنا ! أنا عدو القانون ! أنا جئت لأنقضه ! لأزيله . .

المرأة : بماذا ؟ بالدموع ؟

الواعظ : بل بالمقاومة . . .

المرأة : إذا كنت صادقاً فيما تقول ، فلتبدأ إذن من البداية .

الواعظ : أنا أبدأ من البداية . . .

المرأة : البداية فى الجانب الآخر من المدينة . . . إن الجانب الآخر من المدينة ، يزيح إلى جانبنا الجيف والقاذورات ، والخرائب وأوكار الجريمة ، والمرضى والمسلولين والمعتوهين ، فوفر دموعك ، واذهب إلى هناك . . . وتعال أدلك على العمل فقد كنت على قمة المجتمع سنين طويلة . . .

الشرطى : كفى عن الكذب . . . كذب ممجوج . . . هل يصدق أحد أن هذه كانت سيدة مجتمع ؟

المرأة : أنت لا تصدقنى (تخرج من صدرها قصاصة جريدة صغيرة قديمة) هذه صورتى . . . وهذا زوجى .

الشرطى : (يتأمل فى الصورة وفى المرأة) بعض الشبه . . .

المراة : (تخطف الورقة) صدق أو لا تصدق . . . لقد كنت هكذا ، وأصبحت الآن كما ترى . . . تحت وطأة مصيبة من مصائب المجتمع ، أسرفت فى الشراب ، ثم أدمنت المخدرات . . . زوجى تحطم فى مضاربة مالية . . . انتحر . . . بعت ما كان عندى . . . ثم تدهورت . . . قالوا عنى مجنونة وأرسلونى إلى مستشفى أمراض عقلية . . . ثم بدأت أعمل من جديد . . . عملى القديم . . . ولكن بصورة أخرى . . . فقدت الجمال والرشاقة والمغريات .

الواعظ : فى صوتك رنة صدق . . .

الشرطى : هذا هو الفارق بينى وبينك ... أنت تصدق كل ما يقال.

الواعظ : وأنت تكذب كل ما يقال . . . ولكنها صادقة .

الشرطى : صدق كما يحلو لك . (ينظر فى الساعة) . أتدرى كم الساعة . . . نحن فى آخر الليل .

الواعظ : حقًّا ؛ إذن فهذه موعظة آخر الليل . . .

المرأة : وهل تريد أن تصل إلى خاتمة الموعظة .

الشرطى : وهل يمكن أن يكون لهذه الموعظة خاتمة ؟

المرأة : نعم . . .

الشرطى : أنا يهمنى قبل ختام الموعظة أن أعرف أين ذهبت المحفظة . وإلا اعتبرت نفسى شرطيًّا خائبًا .

المرأة : أهنئك مقدمًا يا سيدى على نجاحك .

الشرطى : (مهتمًّا) كيف ؟

المرأة : أهذه هى المحفظة التى تبحث عنها ؟

الشرطى : (يأخذ المحفظة ويتأمل فيها) أهذه محفظتك ؟ (للواعظ) .

الواعظ : (يمد يده إلى المحفظة ثم يثنيها بعد تردد) قلت لم يكن معى محفظة . . . .

الشرطى : (مبتسمًا) الوصية رقم كم ؟ لا تكذب .

الواعظ : أنا لا أكذب .

المرأة : بل تكذب . . . وهل تعرف من الذى ضربك ؟

الواعظ : لا . . . لا . . . لا أريد أن أعرف .

المرأة : بل يجب أن تعرف . . . أنا التى ضربتك ، وأنا التى أخذت المحفظة . . .

كنت تسير فى الطريق . . . فأهويت عليك بعصا هكذا

. . . (تمثل بيدها) فوقعت في الأرض هكذا (تبسط يديها) فتأملت فى وجهك . . . وأشفقت عليك . . . لقد كنت راقداً كملاك برىء . . . أخذت المحفظة لأعطيها هذه (تشير إلى المرأة الثانية) ولكن قبل أن أفعل لمحت قادماً من بعيد ، فاختفيت . . . فلما طال الموقف ، خرجت لأنهيه .

الشرطى : حسناً . . . إذن تقدمى معى . . .

الواعظ : إلى أين ؟

الشرطى : وهل هذه تحتاج إلى سؤال (يشتد سعال المرأة) .

المرأة الأولى: لا تصدقوها . . .

الواعظ : تأخذ هذه السيدة إلى أين ؟

الشرطى : إلى القسم . . . إلى المحاكمة . . . إلى السجن . ألا تعيش فى هذه المدينة ؟

الواعظ : لماذا بحق السماء ؟

الشرطى : بحق الشيطان . . . أسئلتك يجن لها الجماد . . . لأنها ضربتك على رأسك هكذا (يمثل بعصاه) فانطرحت على الأرض هكذا (يمثل كما فعلت المرأة) ثم مدت يدها إلى جيبك فأخرجت المحفظة هكذا (يلوح بها) .

الواعظ : شيء غريب أتسرق محفظة لم أكن أحملها ولم أرها ؟

الشرطى : ولكن ماذا تقول فى اعتراف هذه السيدة ؟

المرأة الأولى: إنها تكذب . . .

الشرطى : وما مصلحتها في هذا الكذب ؟

الواعظ : ليس ضرورياً أن تكذب بسبب . المجتمع يعلمنا عادة الكذب . نحن نكذب لمجرد الكذب . إنه متعة فى ذاته !

المرأةالأولى: ألم تقل إنها كانت سيدة مجتمع ، فلم تصدقها ؟ ألم تقل لها إنها تكذب ؟ لماذا تكذبها حين تدافع عن نفسها ، وتصدقها حين تدين نفسها ؟ !

الشرطى : وأنت أيضًا تتفلسفين . . .

المرأةالأولى: أنا لا أتفلسف . . . أنا أعترف .

الشرطى : بماذا ؟

المرأةالأولى: بأنى أنا التى سرقت هذه المحفظة وأعطيتها صاحبتى . . .

الشرطى : أنتم عصبة مجانين . . .

المرأةالأولى: أنا أقول الحقيقة . . .

الشرطى : لماذا تتهم هذه المرأة نفسها ؟

المرأةالأولى: (تضع يدها قريبًا من أنفها) الكوكايين .

الشرطى : ماذا ؟

المرأةالأولى: الكوكايين . . .

الشرطى : يعنى تخرف . . .

المرأةالأولى: لا . . . أبداً إنها تريد أن تذهب إلى السجن . إنها لا تستطيع أن تقاوم وفى السجن . . . لن تجد ما تشمه . ستعالج هناك . . .

المرأةالثانية: بل لا تصدقها . . . المحفظة معى أنا . . . إنها تريد أن تذهب إلى المصحة . . . ولكنها لا تستطيع . . . يجب أن تبقى لتنفق على ابنها . . . السجن سيقتلها على الرغم منها . . .

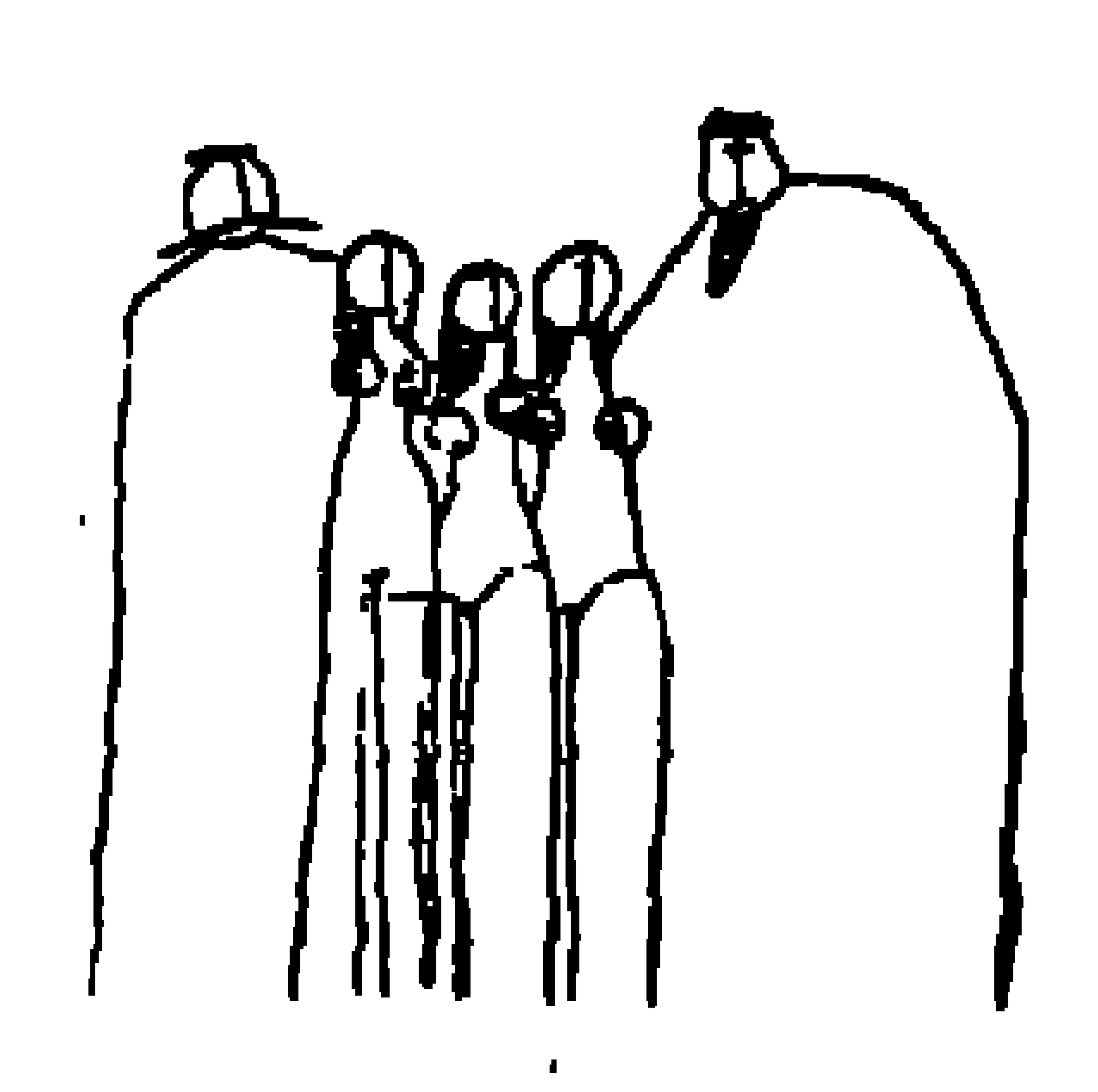
(الشرطى يتجه إلى النسوة اللواتى استدرن حول الواعظ والمرأتين) .

الشرطى : من منكن تعرف الحقيقة ؟

الجميع في صوت واحد : كلنا نعرفها . . .
الشرطى : إذن قولوها . . .
الجميع : هل نقول ؟
الواعظ : أريد أن أعرف . . .
الجميع : (فى صوت واحد) تريد أن تعرف أى شىء ؟
الواعظ : هل كانت معى محفظة ؟
الجميع : هل نقول ؟
الواعظ والشرطى : نعم قولوا . . .
الجميع : وما الفائدة ؟
الواعظ : الحقيقة يجب أن تعرف .
الشرطى : والمجرم يجب أن يعاقب .
الجميع : والمرأة المصابة بالسل ؟
الشرطى : لا شأن لى بها .
الواعظ : أنا سأداويها .
الجميع : بماذا ؟
الواعظ : بكلامى وإيمانى .
الجميع : إذن لن نقول . . .
الشرطى : قولى لكيلا يظلم برىء .
الجميع : أولا من هو الظالم ؟
الشرطى : من يخالف القانون .
الجميع : ومن يضع القانون ؟
الواعظ : الأقوياء فى المجتمع .
الجميع : وهل الأقوياء عادلون ؟
الواعظ : العادلون هم الأقوياء .

الجميع : كفى لعباً بالألفاظ .
الواعظ : لماذا تهزءون بى ؟ .
الجميع : لأنك تقول ولا تعمل .
الواعظ : لقد جئت لأعمل . . .
الجميع : بمحفظة ونقود .
الواعظ : أنا الآن أريد أن أعمل . . .
الشرطى : لقد أخذتم منه نقوده . . .
الجميع : هو يقول إنه لم يكن معه نقود .
الشرطى : ولكن المرأة تقول إنها أخذت النقود .
الجميع : وتقول الثانية إنها هى التى أخذتها .
الواعظ : وأنا أقول إنى جئت وليس معى قرش واحد ، النقود سموم .
(المرأة يشتد سعالها) . . .
الجميع : هذه يشتد سعالها . . . وتلك تريد أن تذهب إلى المصحة .
الشرطى والواعظ : ونحن نريد أن نعرف الحقيقة .
الجميع : وهذه موعظة آخر الليل .
المرأة الأولى : (بعد نوبة سعال) : وأنا لم أعطك الماء الذى طلبته .
الواعظ : ولكن موعظة آخر الليل أعطتنى ماء وغذاء ونوراً ! .

ستار



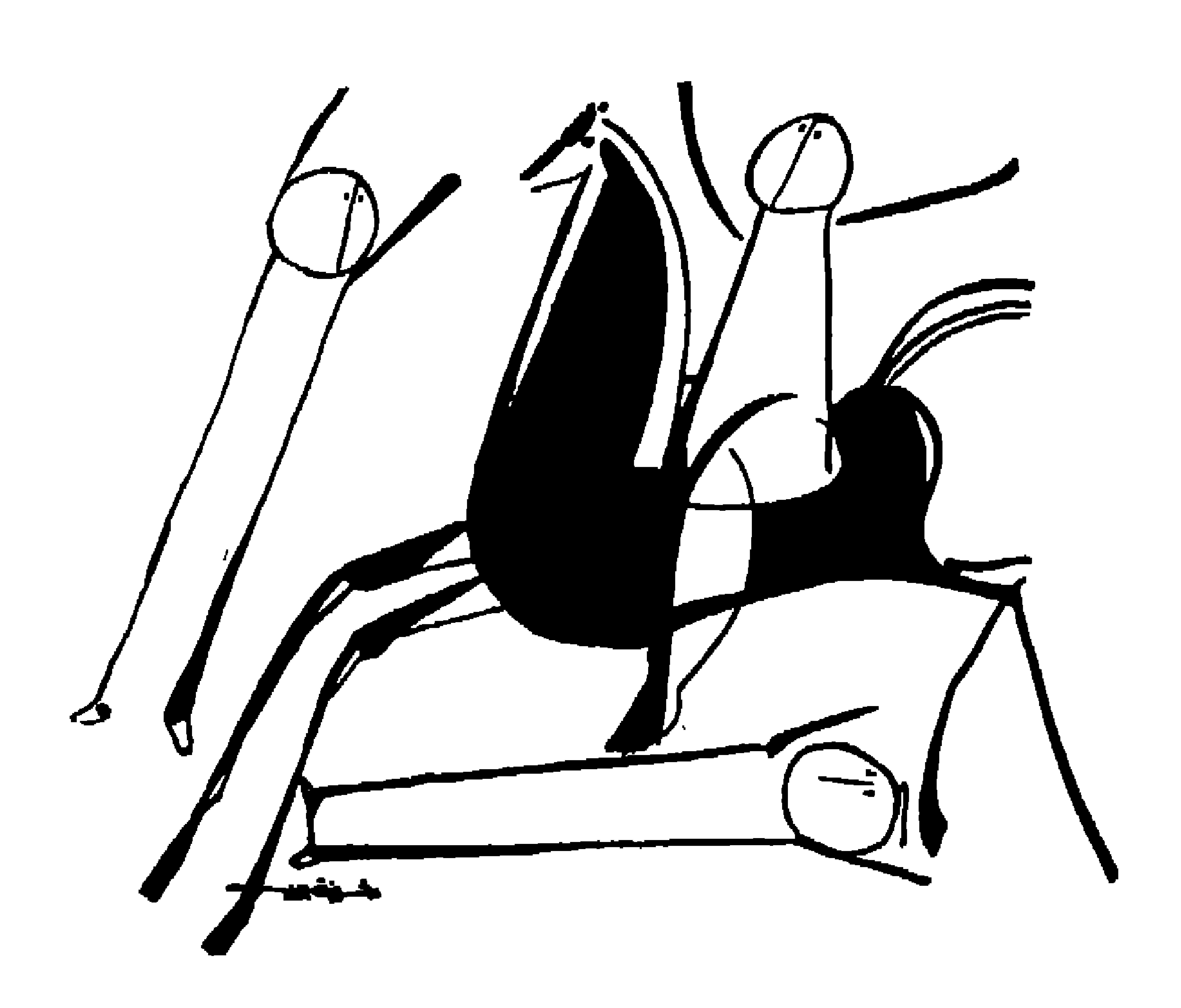
المشهد الأول

(صف من الجنود يبدو عليهم الإعياء والتعب ويظهر للوهلة الأولى ، أن ملابسهم بقيت على أجسادهم فترة طويلة ، فاتسخت كما يظهر أن هذه الملابس لم تصنع أصلا لهم ، فهى لا تتناسب مع أجسامهم ، لا طولا ، ولا عرضاً . فبعضهم يكاد يتعثر فى ملابسه ، والبعض الآخر ، يكاد لا يستطيع الحركة لضيق بذلته ، والمفروض أن يقفوا فى انتظام ، مشدودى القامة ، لكن التعب منعهم ذلك فوقفوا فى استرخاء ، بعضهم خارج الصف قليلا وبعضهم خلفه قليلا ، وبنادقهم التى يمسكون بها ، ليست من طراز واحد . . فمنها الطويل ، ومنها القصير ، ومنها القديم ، ومنها الحديث ، وهى على العموم مستهلكة .

ويقف على رأس الصف ، ضابط شاب ، ملابسه أحسن حالا من ملابس الجنود ، وإن كانت فى مثل ثيابهم قذارة وهو على الرغم مما يبذله من التظاهر بالحزم ، وارتفاع روحه المعنوية ، يشعر بالاشمئزاز والضيق ، فهو لم يتناول طعاماً كافياً منذ أيام ، وعلبة سجائره فرغت ولم يجد ما يحلق به ذقنه فطالت . ومع ذلك لم يصب بانهيار جوهرى . فهو راغب فى تحسين حالة جنوده ، وتزويدهم بالطعام وبالثياب النظيفة والسلاح المناسب والذخيرة الكافية . الضابط فى حدود الخامسة والعشرين من عمره ، يشهر سيفاً فى يده فى حين يلتصق غمد السيف الطويل بساقه المواجهة للنظارة .

أمام الجنود ضابطهم ، وهو كهل ، يرتدى بذلة واسعة ، تصل أكمامها إلى أطراف أصابعه ، ويغطى طرف بنطلونها حذاءه القديم الممزق . . الضابط فى نحو الخمسين ، تغطى شواربه شفتيه ، ويضع على صدره « ميداليات » كثيرة . .

يدخل إلى المسرح من الجانب الأيمن ، شاب ذراعاه خلفه يدفعه جندى طويل عريض الأكتاف ، والشاب المكتوف اليدين ، يكاد ينكفئ على وجهه ، إذ يدفعه الجندى من الخلف وحينما يرى الجنود تزوغ عيناه) .



الضابط الكهل (للضابط الشاب) : الحكم .
الضابط الشاب (فى لهفة) : الحكم (يبحث فى جيبه ثم يبدو عليه الارتباك) .
الضابط الكهل (بصوت عال) انتباه . كتفًا سلاح (الجنود يرفعون البنادق إلى أكتافهم ! يقترب من الضابط الشاب ويقول همسًا) ألم تجد الحكم !
الضابط الشاب (وهو يبحث فى جيوبه مرتبكًا) : إنه هنا . . . إنه معى .
الضابط الكهل : أسرع . . .
(يدرك الجنود والمحكوم عليه أن فى الأمر شيئًا) .
الضابط الكهل : ألم تجده ؟
الضابط الشاب (وقد زاد ارتباكه) : عجيبة ! . . . أين ذهب هذا الحكم اللعين .
الضابط الكهل (متضايقًا) : ألا يكون فى مكتبك ؟
الضابط الشاب (وقد تصبب عرقًا) : لا . . . لا . . . كان معى الآن . . .
الضابط الكهل : أسرع . . . الموقف لم يعد يحتمل . . .
الضابط الشاب : (وقد يئس من العثور على الحكم) إنى أحفظه عن ظهر قلب . . . الأحكام كلها واحدة . . . أحفظ الصيغة جيداً . . . لا ينقصنى إلا معرفة اسمه . . . (مشيراً إلى المحكوم عليه بإشارة من عينه) سله عن اسمه .
الضابط الكهل : (وقد أخذ صوته يعلو) ماذا تقول أيها الملازم . . . لم يبق إلا هذا . . . ليس لدينا سلاح . . . ولا طعام . . . وانقطعت هنا المواصلات . . . ولم يكن باقيًا لنا إلا أن

أوراقنا سليمة . . . وأعمالنا المكتبية ممتازة .

المحكوم عليه : (يتقدم نحو الضابط الكهل ومن خلفه الجندى الضخم) ماذا حدث ؟

الضابط الكهل : (مأخوذاً) ماذا حدث ؟ (بعد لحظة ارتباك) ما شأنك أنت ؟

المحكوم عليه : (مندهشاً فى نبرة احتجاج) ما شأنى : (ينظر إلى الوثاق الذى يربط ذراعيه) شأن من إذن ؟ (الجندى يجذبه من الخلف) .

الضابط الشاب : (يهمس فى أذن الضابط الكهل) نسأله عن اسمه ؟

المحكوم عليه : تريدون أن تعرفوا اسمى . . . بكل سرور . . . إنه لشرف عظيم أن أقدم لكم نفسى ، لقد صور لى الغرور أنكم تعرفوننى . . .

الجندى الحارس : (يلكزه) ألا تخجل . . . ضع لسانك فى حلقك . . .

المحكوم عليه : إنه فى حلقى يا سيدى أنت الذى ستخرجه من حلقى . . . ثم لست أرى داعياً للخجل . . . فالسادة (يشير إلى الضابطين والجنود) وقعوا فى ورطة . . . والواجب يدعونى للمساعدة . . .

الضابط الكهل : (شاعراً بالخزى) مساعدة . . . أى مساعدة ؟ هل طلب منك أحد شيئاً (بحزم) قف مكانك واسكت . . .

المحكوم عليه : إلى متى يا سيدى ؟ هل تظن أن النظر إلى هؤلاء الجنود ومعهم بنادقهم شىء لذيذ . . . لو كنت متفرجاً لتغير الأمر . . .

الضابط الكهل : (صارخاً) اسكت ؟

(الجندى الحارس يلكز المحكوم عليه بشدة) .

المحكوم عليه : (محتجاً) أنا متظلم يا سيدى القائد . أرفع شكواى إلى الرئاسة . لأمثالى حقوق يجب أن تحترم . . .

الضابط الشاب : (يخرج ورقة من جيبه) لقد وجدته . . .

الضابط الكهل : (يتنفس الصعداء) الحمد لله . . . (يتهيأ لتنفيذ الحكم) انتباه !

(الجنود يشدون قامتهم من جديد بمجهود يبدو شاقاً والجندى الحارس يمسك المحكوم عليه من كتفيه ، ويوقفه فى منتصف المسافة بين نهاية المسرح والجنود . ويتهيأ الضابط الشاب لتلاوة الحكم . ثم يظهر عليه الارتباك) .

الضابط الكهل : (بعد أن انتظر فترة أن يتلى الحكم . وهو مشدود القامة ، فلما لم يقرأ الضابط الشاب شيئاً سأله همساً ، وهو منتصب القامة) أليس هو الحكم ؟

الضابط الشاب : (هازاً رأسه فى أسى) لا . . .

المحكوم عليه : (وقد أدرك تماماً سر اضطراب الضابطين) إن هذا الموقف طال أكثر مما يجب .

الضابط الكهل : (مخاطباً نفسه) لك حق . . .

المحكوم عليه : مرة أخرى أعرض عليكم المساعدة .

الضابط الكهل : (وقد أصبح أكثر استعداداً لقبولها) مساعدة مساعدة ! ما هى المساعدة التى تريد عرضها . . .

المحكوم عليه : (وقد قرر الاستفادة من الموقف) قبل كل شيء أنا لم أتنازل بعد عن تظلمى . . . لقد اعتدى على حقوقى . . . ولأمثالى حقوق . . . فلا أقل من أن نموت بشيء من الاحترام . . . فاللكزات التى نالت كتفى . . . هى اعتداء على القانون على شخصى . على القانون فى شخصى .

الجندى الحارس : (مهتاجاً) إذا لم تسكت سأقرض زورك . . .
المحكوم عليه : الله . . . الله . . . ألم يعد للقانون حقاً وجود . . .
كيف تقرض زورى يا سيدى . . . وماذا سيفعل هؤلاء الجنود . . . إنهم أربعة وعشرون جندياً . . . إن قتلى بالطريقة التى تقترحها هى بلا شك أمتع من ضربى بالرصاص .
(الجنود يضحكون) . . .
الضابط الكهل : (يصرخ) أيها الملازم . . . أسرع إلى مكتبك وأحضر الحكم . . . أسرع . . . أسرع . . .
الضابط الشاب : (متردداً) إنه . . .
الضابط الكهل : (صارخاً) نفذ الأمر يا حضرة الملازم .
(الضابط الشاب يجرى والسيف يحدث صوتاً وهو يصطدم بساقه . . .)
المحكوم عليه : أنا أريد توفير الجهد . . . سأخبركم باسمى . . .
(الضابط الشاب متوقفاً) .
الضابط الشاب : أنا أحفظ . . .
الضابط الكهل : (صارخاً) يا حضرة الملازم نفذ الأمر . . .
(الضابط الشاب يجرى نحو الباب الأيسر) .
المحكوم عليه : (موجهاً الحديث إلى الضابط الكهل) هل تسمح لى بسؤال . . .
الضابط الكهل : (لا يرد) .
المحكوم عليه : أنا أعرف الحكم . . . ولا اعتراض لى عليه . . . لا داعى للتلاوة . . . لا داعى والله . . .
الجندى الحارس : (يدفعه) اسكت . . . من أفهمك القانون . . .

المحكوم عليه : (ملتفتاً إليه) وضربى . . . فى القانون أيضاً ؟ . . .
الجندى الحارس : أنت مجنون ؟
المحكوم عليه : طبعاً ؟
الجندى الحارس : (يضحك مقهقهاً) طبعاً ؟
المحكوم عليه : أربعة وعشرون جندياً ... وملازم وقائمقام ... وأنت . . . وتريد منى أن أبقى عاقلا .
الجندى الحارس : (وقد بدا عليه أن الحديث طاب له) ولكنك موافق على الحكم . . .
المحكوم عليه : جداً . . .
الجندى الحارس : (مقهقهاً والجنود يضحكون معه) أنت تريد أن تموت .
المحكوم عليه : (فى هدوء) أبداً .
الجندى الحارس : ولكن الحكم أمر بموتك . . .
المحكوم عليه : أنا عارف . . .
الجندى الحارس : إذا كنت تعرف أنه حكم عليك بالموت . . . وأنت لا تريد أن تموت . . . فكيف تكذب علينا وتقول إنك لا تعترض عليه . . .

(الضابط الكهل استسلم للموقف أول الأمر ثم لذت له المحاورة فنسى نفسه) .

المحكوم عليه : أنا لا أعارض لأنه لا فائدة . . . ماذا تملك أنت . . . أو يملك هؤلاء المساكين الذين لا يجدون ما يأكلونه ، فشغلوهم بضرب الناس بالنار . . .

(الجنود يقهقهون ويخرجون عن الصف) .

الضابط الكهل : (فى غير عنف وبحزم يتظاهر به فقط) كل فى مكانه . . .

المحكوم عليه : (موجهاً الحديث إلى الحارس) لما ضربتنى اعترضت...
الجندى الحارس : صحيح .
المحكوم عليه : لأن فى الاعتراض فائدة . . .
الجندى الحارس : ولكنك ستموت . . .
المحكوم عليه : من يدرى ... إن الضابط يذهب ولم يعد . . . قد لا يجد الحكم . . . وقد لا يكون هناك حكم . . . ولذلك أنصحك أن تفك وثاق . . . هذا الرباط غير قانونى . . . وقد يتهمك أحد بأنك عذبتنى . . . عذبت رجلا بريئاً لم يرتكب ذنباً . . .
الجندى الحارس: (بدا عليه الانشغال) إن تعذيبك حلال . . .
المحكوم عليه : حلال أوحرام هذه مسألة قانونية ... وأنا وأنت لا نفهم فى القانون . . . المهم هل عندك حكم لتربطنى هكذا . . . حل الرباط . . . ودعنا نتفاهم كآدميين . . . (موجهاً الحديث إلى الضابط الكهل) يا سيدى القائد أرح الجنود . . إن التعب يكاد يثب من وجوههم . . .
الضابط الكهل (ناظراً إلى الباب الذى خرج منه الضابط الشاب) .
المحكوم عليه : يا سيدى الضابط . . . إنه أضاع الحكم . . . صدقنى . . .
الضابط الكهل: (هازاً رأسه فى استسلام) لقد أصبحت مسخرة . . .
المحكوم عليه : إنها دائماً مسخرة (الجنود يضجون بالضحك ويتركون بنادقهم على الأرض) .
الضابط الكهل: دائماً مسخرة .
المحكوم عليه : طبعاً . . . إنكم تجمعون أربعة وعشرين جندياً لتقتلوا

رجلا واحداً . . . رجلا واحداً مربوط اليدين مذعوراً . . .
يدفعه عملاق فى ظهره . . . هل تريد مسخرة أكثر من
ذلك . . . لماذا لم تقتلونى فى الزنزانة . . . برصاصة واحدة
. . . عند الفجر والناس نيام ؟ . . أليس هذا أوفر . . .
وأيسر . . . وأقرب إلى المعقول ؟ . . .

الضابط الكهل : أنت تهذى . . .

المحكوم عليه : أبداً . . . أنا عاقل . . . أعقل منكم . . . وإليك
الدليل . . . أحضرتمونى على هذه الصورة وجمعتم هؤلاء
الجنود المساكين المتعبين ثم . . . كانت المسخرة . . .

الضابط الكهل : (هازاً رأسه) لك حق .

المحكوم عليه : (مسروراً من اضطرار الضابط الكهل لقبول الأمر الواقع
فيقترب منه والعملاق من خلفه) هل عندك عقب سيجارة . . .

الضابط الكهل : (محتجاً) عقب سيجارة . . .

المحكوم عليه : أنا مقدر للظروف . . . من أين السجائر وأنتم هنا وحدكم
. . . والاتصال مقطوع . . . والتموين مقطوع ؟ . . .
كل شىء مقطوع : . . ما عدا تنفيذ حكم الإعدام . . .

الجلاد : (ضاحكاً وقد سر من نكتته) ولهذا سنقطع رقبتك . . .

الضابط الكهل : (منتهراً الجلاد) ماذا أصاب عقلك ؟ . . .

الجلاد : (يلكز المحكوم عليه بيده) ابن الـ . . . لا يكف عن الثرثرة . . .

المحكوم عليه : (يلتفت إليه ، وينهره مدعياً الغضب) إياك أن تمد
يدك إلى . . . أنا رجل برىء . . . وكل ضربة منك
ستحاسب عليها أمام محاكم الدولة (ينظر إلى الجنود) أيها
الجنود كونوا شاهدين أنا مربوط اليدين بلا ذنب . . . وأنتم
واقفون بلا سبب . . .

الضابط الكهل: (يهوله الموقف فيمسك المحكوم عليه من تلابيبه صارخـًا)
هذه ثورة . . . هذا تحريض على الثورة . . . فاهم . . .
إننى سأطلق على رأسك ألف رصاصة . . . فاهم . . .
لعنة الله على الحكم . . . على الأحكام كلها . . . على
المحاكم . . . والقضاة . . . إلا التحريض على التمرد . . .
إلا التحريض . . .
(الجنود يصيبهم وجوم . . . ويقفون فى الصف أحسن
نظامـًا مما كانوا . . .)

(يدخل الضابط الشاب ويبدو عليه إعياء شديد) .

الضابط الكهل : (يقترب منه ويكلمه همسـًا) هل وجدته ؟

الضابط الشاب : (لا يرد) . . .

الضابط الكهل : (مرتبكـًا ومنفعلا ومتلهفـًا) ماذا تقول ؟

الضابط الشاب : (لا يتكلم ويهز رأسه علامة النفى) .

الضابط الكهل : وجدته ؟ .

الضابط الشاب : (بصوت خافت) لا . . . لم أجده . . .

الضابط الكهل : إن هذه حشرجة ميت . . . لا صوت ضابط . . .
قل إنك لم تجده . . .

الضابط الشاب: (فى عصبية) أقول لم أجده . . . (ثم كأنه يتحدى)
حسنـًا لم أجده . . .

الضابط الكهل : (فى صوت مرتفع) الله . . . الله . . . عندك الجرأة
لتقول ذلك بهذا الصوت العالى . . .

الضابط الشاب : (وكأنه لم يعد يهتم) لقد قلت لك بصوت منخفض
فأمرتنى أن أرفع صوتى . . . لقد سخرت منى يا سيدى
الضابط . . . (فى عصبية شديدة) أنا لم أجد الحكم . . .

ضاع مني . . .

الضابط الكهل : يا حضرة الملازم . . . حاسب فى كل كلمة تقولها . . . إنك تعرض نفسك . . .

المحكوم عليه : (متدخلا) لا تصرخوا هكذا . . . لا تعكروا دمكم . . . الأمر أيسر مما تظن . . . المسألة بسيطة . . . بسيطة للغاية . . .

الضابط الكهل: (ينظر إليه والانفعال يكاد ينفجر من صدره ، وأوداجه منفوخة وعروق صدغيه نافرة ، وصدره مرتفع كديك رومى منتفخ) بسيطة . . . بسيطة . . . أعطنى مسدساً . . . سأنهى الموقف برصاصة . . .

المحكوم عليه : (باطمئنان ملؤه السخرية) خيراً تفعل . . .

الضابط الكهل: سأضرب رصاصة هنا (مشيراً إلى رأسه هو) .

المحكوم عليه : (متظاهراً بالفزع) لا سمح الله . . . لا سمح الله . . . وماذا فعلت سعادتك . . .

الضابط الكهل : (غير ملتفت إلى سخافة الحوار) ماذا فعلت؟ لقد أضعت الحكم . . .

المحكوم عليه : (فى نفس الاطمئنان الساخر) نطلب صورة أخرى . . . الأمر سهل . . . والآن هل تريدنى . . . أو أذهب (مشيراً بيديه المقيدتين إلى الناحية التى أتى منها) .

(الجنود يضجون بالضحك ، ويخرجون عن الصف والضابط الكهل ينظر إليهم ، ولا يستطيع أن يقول شيئاً لهم لشعوره بخروج الموقف من يده) .

المحكوم عليه : دعهم يضحكون . . . إنهم لم يأكلوا منذ يومين . . .

الضابط الكهل: ومن أخبرك بهذا أيها . . .

المحكوم عليه : وهل أنا فى حاجة إلى من يخبرنى . . . أنا أيضاً لم آكل . . هل سرقتم نصيبى ؟ هل أردتم أن أموت جوعاً . . . ربما كان ذلك أوفر !

الضابط الشاب : (صارخاً فى وجه الجلاد الذى اتجه نحوه فى خطوة سريعة) ما هذا ؟ . . . ما الذى فى يدك ؟ . . . يدك اليمين . . .

الجلاد : (ينظر فى يده مأخوذاً ولا يجيب) .

الضابط الشاب : (ينتزع الورقة من يده ويبسطها فى انفعال شديد ويصرخ وهو يكاد يقفز) انظر ... انظر ... انظر ..

الضابط الكهل : ماذا جرى ؟ . . . هل جننت يا حضرة الملازم ؟ اتزن . . .

الضابط الشاب : (يقرب الورقة من أنف الضابط الكهل) انظر . . . لقد وجدته . . . هو . . . هو . . . (يضحك بعصبية شديدة) .

الضابط الكهل : (يأخذ الورقة من يده ، فتبدو عليه دهشة تنقلب إلى فرحة تغمر كل وجهه ، ويجد صعوبة بالغة فى ضبطها وإخفائها) هذا هو الحكم . (فى صرخة عصبية) انتباه .

(الجنود يعلوهم وجوم ، يكاد يكون أسفاً لعثور الضابط على الحكم . . . الضابط الكهل يستعيد نفسه بنفسه ، فيذهب عنه الاضطراب شيئاً ، فشيئاً ، وتبرز بطنه ، ويعلو صدره ، ويشد قامته ، وتسود وجهه غلظة وتجهم ويوجه الحديث إلى الضابط الشاب) .

الضابط الكهل : اتل الحكم .

(الضابط الشاب مشغول بتلاوة الحكم لنفسه بصوت غير مسموع . وهو لا يكاد يصدق عينيه . ولذلك فهو لا يسمع كلام الضابط الكهل وهو يأمره بتلاوة الحكم) .

الضابط الشاب : (يرفع عينه عن الحكم . ويدير نظره فى المكان . وكأنما يستيقظ من النوم) هه . . .

الضابط الكهل : (فى انفعال ملؤه الغضب . وبصوت أعلى) ألا تسمع يا حضرة الملازم . . . قلت اتل الحكم . . .

الضابط الشاب : (لا يزال مشغولا بالورقة التى بيده ، ثم يرفع عينيه مرة أخرى عنها ويتجه إلى الجلاد وهو يضغط على شفتيه) كيف مددت يدك إلى الحكم . . . من الذى أمرك أن تأخذه . . . أنت تستحق الجلد . . . أنت جلاد . . . اذهب وقشر بصلا . . .

(يعود المرح قليلا إلى الجنود فيضحك بعضهم ضحكات مسموعة . وبعضهم يضحك ضحكات خافتة . والثالث يود أن يضحك ، ولكنه لا يجرؤ . ويجرى الضابط الكهل ناحية الشاب ويضغط على ذراعه . . .)

الضابط الكهل : (همساً) هل هذا وقته ؟

الضابط الشاب : (غير ملتفت إلى كلام رئيسه وموجهاً الكلام إلى الجلاد) من الذى عينك جلاداً . . . اذهب إلى بيتكم ورب دجاجاً . . . اذهب إلى الزريبة ، وعش مع الثيران . . .

الجلاد : (وقد خرج عن طوره لشدة الحملة عليه) دجاجاً ؟ أين هو الدجاج . . . ؟ لم يعد فى الناحية كلها فرخة واحدة . . .

الضابط الكهل : ما شاء الله ! . . . ما شاء الله ! . . . لم يعد باقياً إلا هذا . . . اسكت يا حضرة الملازم . . . (متجهاً إلى

الجلاد) واسكت أنت . . .

الجلاد : (مستمراً فى انفعاله غير مكترث بنظرات الغضب من الضابط الشاب) ثيران . . . أى ثيران . . . لقد ماتت العجول . . . جوعاً . . . كما نكاد نموت نحن . . . (تتغير لهجته) ماذا جرى لأمى وأولادى ... كيف سيجدون لقمة العيش فى هذه المجاعة . . . لقد تركتهم ولحم أبدانهم تكشف عنه خرقهم المهلهلة (يكاد يبكى) . . .

المحكوم عليه : (يواسى الجلاد ويتجه إلى الجنود . وإلى الضابطين) أنا فى غاية الخجل . . . أمر مخجل للغاية . . .

الضابط الكهل : مخجل . . . أنت مجرم ، ومحكوم عليك . . . ومهمتك أن تموت . . . عليك أن تموت... تموت فقط . . . هل سمعت ؟ . . .

المحكوم عليه : (غير متأثر بثورة الضابط الكهل) أنا تحت الأمر يا سيدى القائد . . . تحت أمركم . . . أنا لم أتأخر ولكنكم أنتم الذين خلقتم هذا الموقف المحير . . . لقد اشترطتم أن تجدوا الحكم لأموت . . . وقد تساهلت معكم ... والجلاد مسكين . . . تذكر أمه وأهله حينما ذكر الضابط الشاب الدجاج والثيران . . . (يتجه إلى الجلاد ويحاول أن يربت على كتفه بيديه المربوطتين) . . .

الجلاد : أولادى . . . ماذا جرى لكم يا أولادى ... يا مساكين ... يا جياع . . . يا عرايا . . .

(الجنود يضحكون ويخرجون من الصف . . . ويقترب بعضهم من الجلاد ، ويبدءون يواسونه) .

أحد الجنود : لا . . . لا . . . كن شجاعاً . . . كلنا فى الهوى سوا . .

أنا لم أسمع عن أبي خبراً . . .

جندى ثان: وأنا . . . تركت زوجتى وبطنها هكذا . . . (يشير بيده في الهواء . فيضحك الجنود فى صوت مرتفع . وتقع بندقية على الأرض من يد أحدهم) .

الضابط الكهل : (ناظراً إلى الضابط الشاب) مبسوط . . .

الضابط الشاب : هذا الحيوان يأخذ الحكم من فوق مكتبى . . . وكأنه قد ابتلع مخدراً . . .

المحكوم عليه : لقد وجدنا الحكم . . . ولم يبق إلا التنفيذ .

جندى ثالث : أنت مستعجل . . . اصبر قليلا . . .

المحكوم عليه : لقد صبرت . . . عودوا إلى أماكنكم ، وهيا لنفرغ من هذه المهمة . . .

الضابط الكهل : (يهز رأسه . ثم يعبث بطرف شاربه) هل أنت مجنون ؟ . . .

المحكوم عليه : (فى بساطة تامة وعدم مبالاة) أبداً . . . لماذا تسأل هذا السؤال ؟ . . .

الضابط الكهل : (ضاحكاً ضحكة مقتضبة) مهمة . . . أية مهمة التى تريد أن نفرغ منها . . . المهمة أن تموت . . .

المحكوم عليه : أنا عارف . . .

الضابط الكهل : وإذا كنت عارفاً . . . فلماذا العجلة ؟

المحكوم عليه : مونى عقد الأمور . . . فالضابط كان فى ورطة ، ولما أخذ الله بيده . . . وقع الجلاد فى ورطة . . . وإذا خرج منها فسيقع الجنود فى ورطة ثالثة . . . فقد خرجوا من الصف ، وضحكوا . . . وهذا مخالف للنظام . . .

الجلاد : (فى ضحكة تكاد تكون جنونية) وهل النظام يهمك . . . الله

يلعن أهلك . . .

المحكوم عليه : (ناظراً للضابط الشاب) انظر كيف فقد الرجل أعصابه (إلى الضابط الكهل) الذى يهون الأمر . . . أننى عندما أنسحب من هنا . . . لن يعرف أحد شيئاً مما حدث . . .

الضابط الكهل : (منزعجاً) تنسحب . . . كيف تنسحب ؟ . . .

المحكوم عليه : أعنى عند ما . . . عند ما . . . عند ما . . .

الضابط الكهل : (متضايقاً) عند ما . . . عند ما . . . انطق . . .

المحكوم عليه : عند ما أموت . . .

الضابط الكهل : (كأنما فهم شيئاً غاب عن ذهنه) آه . . .

(للضابط الشاب) اتل الحكم . (إلى الجنود) انتباه .

(الجنود يعودون إلى الصف فى غير اكتراث ، وبعدم احترام ، والبنادق فى أيدى بعضهم ، وعلى أكتاف البعض الآخر) .

الضابط الشاب : (موجهاً الحديث إلى المحكوم عليه) هل أنت ضاحك ابن صعب ؟ . . .

المحكوم عليه : (متظاهراً بعدم السمع) ماذا ؟

الضابط الشاب : (فى اشمئزاز ظاهر) أنت ضاحك بن صعب ؟ . . .

المحكوم عليه : (بعد تأمل قليل) لا يهم . . . لا يهم . . .

الضابط الشاب : (بنفس عدم المبالاة والاشمئزاز) ما هو الذى لا يهم ؟ هل أنت ضاحك ؟ . . .

المحكوم عليه : (ضاحكاً) كنت أتمنى أن أكون ضاحكاً ، أنا فاتك ابن صفر ... لكن لا يهم ... مجرد رداءة فى الخط ...

الضابط الشاب : (يدقق فى الحكم) صحيح ... صحيح . . .

فاتك بن صقر . . . فاتك بن صقر . . . ما هذه الأسماء الغريبة ؟ . . .

المحكوم عليه : متأسف . . . على كل حال أهلى لم يكونوا يتوقعون لى أن أقف هذا الموقف . . . وأن أسبب لكم كل هذا التعب باسمى الغريب .

الضابط الكهل : كفى . . . كفى . . . فاتك بن صقر . . . (إلى الضابط الشاب) إنه هو . . . فاتك . . . ضاحك . . . صقر . . . صعب . . . كله يمشى .

المحكوم عليه : لك حق . . . لا فرق الآن بين ضاحك و مكشر . . . ولا بين صعب ، وصقر . . . المهم . . . أنى أنا . . . هذا الجسم الحى . . . الحار . . . سيقف عمله . . . سيبرد ثم يدفن . . . هذا . . .

الضابط الكهل : هل تستطيع السكوت لحظة ؟

المحكوم عليه : لا تظلمنى يا حضرة القائد . . . أنا لم أتكلم إلا رداً على سؤال منكم . . . ذنبى أنى أحترم كلامكم . . . ذنبى أنى لا أ كف عن مساعدتكم . . . أ مرى لله . . .

الضابط الكهل : (شاعراً بالخجل) لك حق . . . (فى تردد) لا تؤاخذنى . . . (ثم فى صوت ينم عن عطف ، يبدو أنه نما شيئاً فشيئاً) ما الذى فعلته ؟ . . . أنت مدهش . . . لماذا حكموا عليك !

المحكوم عليه : سنعرف الآن . . . (مشيراً بيده إلى الضابط الشاب ، والحكم الذى فى يده) .

الضابط الكهل : (بنفس عدم مبالاة الضابط الشاب) اقرأ . . . اقرأ يا سيدى . . .

الضابط الشاب : محاولا أن يبعث فى صوته شيئاً من الحرارة) حكم المجلس العسكرى العالى فى القضية رقم ٧٨٩ بقسم الأهلة ضد ضاحاك . . . (يصحح نفسه وعلى شفتيه ابتسامة) فاتك . . . بن . . . بن (بعد مجهود) صقر ، لأنه فى يوم (يتلو بسرعة بحيث لا يفهم شىء مما قرأ ، ثم يتمهل) قد ارتكب الجريمة المعاقب عليها بالمادة ٣٩ من الأمر العسكرى رقم ٥٦٢٠ ، إذ حرض أهل ناحية الطموح على مخالفة أوامر الحكومة : وقرارات الحاكم العسكرى . فدعاهم إلى الاحتفاظ بما لديهم من أغذية وأقوات ودواجن وغلال ، بدعوى أن البلد مهددة بمجاعة ، وحبس بذلك عن القوات المحاربة ما يلزمها من تموين ، وأشاع الذعر بين الأهلين . وقد ارتكب هذه الجريمة ، فى خطب ألقاها ، وأوراق كتبها . وقد صدر عليه الحكم من المجلس العسكرى المحلى المنعقد فى يوم (يقرأ الضابط بسرعة لا يفهم معها شىء مما يقرأ) بالأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم طعن النائب العسكرى فى هذا الحكم ، أمام المجلس العسكرى العالى الذى استبدل حكم الأشغال المؤبدة بالإعدام . صدق على الحكم فى يوم (يقرأ الضابط بسرعة) .

(الضابط الشاب ينظر إلى المحكوم عليه ، وكأنما أزاح عن صدره عبئاً وفرغ من مهمة ثقيلة) .

الضابط الكهل : هل عندك ما تطلبه ؟ . . . أى طلب . . .

المحكوم عليه : لست فاهماً . . .

الضابط الكهل : ما الذى تريد أن تفهمه . . .

المحكوم عليه : الحكم ؟

الضابط الكهل : الحكم مفهوم . . . أنت حرضت . . . وحكم عليك في المجلس العسكري المحلي . . .

المحكوم عليه : كل هذا مفهوم . . .

الضابط الكهل : إذن ما هو غير المفهوم ؟ . . .

المحكوم عليه : غير المفهوم . . . أن هذا الحكم معناه أنه بمقتضى هذا الحكم نفسه . . . هذا الحكم . . .

الضابط الشاب : (منفعلا ، وملوحاً بورقة الحكم بيده) هذا الحكم . . . هذا الحكم الذي بيدي . . .

المحكوم عليه : قليلا من الصبر . . . بمقتضى هذا الحكم ، لا يمكن أن ينفذ علي حكم الموت . . .

الضابط الكهل والضابط الشاب : (منزعجين معاً) كيف ؟

المحكوم عليه : (في هدوء) استبدال الأشغال بالإعدام معناه . . . أنني محكوم علي بالأشغال لا بالإعدام . . . الباء تدخل على المتروك . . . .

الضابط الكهل : (غير فاهم) باء . . . أي باء ياحضرة ؟ .

المحكوم عليه : الباء استبدال المجلس الأشغال بالإعدام . . . معناها أن الإعدام عدل عنه . . . مفهوم ؟ ؟

الضابط الكهل : (واقعاً في ورطة) أبداً . . . هل أنت فاهم يا حضرة الملازم ؟

الضابط الشاب : (مستغرقاً في القراءة ورافعاً رأسه ببطء) استبدل حكم الأشغال بالإعدام (يقرأ في صوت خافت ويهز رأسه) استبدل الباء . . . تدخل (يسرح قليلا) مضبوط . . . (يرفع رأسه وينظر إلى الضابط الكهل) صحيح . . . له حق . . .

(الجلاد ينظر إلى الورقة من فوق كتف الضابط الشاب تاركاً المحكوم عليه ، ناسياً نفسه ، والجنود يعودون إلى سابق فوضاهم ... الضابط الكهل والضابط الشاب يقتربان وينظر أولهما إلى الثانى فى حيرة شديدة . ويهز الضابط الشاب رأسه ثم يقول بصوت خافت) .

المحكوم عليه : من جهتى . . . لا اعتراض لى مطلقاً على تنفيذ الحكم .. ولكن مسئوليتكم ستكون عظيمة . . . تقتلون إنساناً بلا حكم . . . بل ضد منطوق الحكم . . .

الضابط الكهل : (مهموماً) كلام . . . كلام معقول .

الجلاد : (ضاحكاً ، ضارباً ظهر المحكوم عليه) من أى داهية جئت ؟! ..

الضابط الشاب : طبعاً ، معلوم لنا جميعاً أن المجلس العسكرى العالى لا يحكم الآن إلا بالإعدام . . . فليس لدينا ليمانات . . . ولا حراس . . . ولا سلاسل . . .

المحكوم عليه : هذا أسهل . . . أوفر كثيراً كما قلت . . . ولكن . . . هل عندكم مقابر ؟ . . .

الجلاد : (ضاحكاً) مدافن ... وجبانات ... كما تريد ... ولا تشغل بالك . . .

المحكوم عليه : (كأنما يفكر فى شىء آخر) لماذا تحبون كلمة الإعدام ؟ كلمة الإعدام ليس لها المعنى الذى تريدونه . . . الحكم بالموت لا بالإعدام . . . المعدم هو . . .

الضابط الكهل : وهل نحن خرجنا من الورطة الأولى ؟ . . يكفينا واحدة . . . لكن قل لى من أين أتيت بهذا كله ؟ . . .

المحكوم عليه : لقد تعلمت النحو . . .

الضابط الكهل : (مرتبكاً) النحو . . .

المحكوم عليه : (مبسطاً الأمر) اللغة . . .
الضابط الكهل : وهل هذا كله فى اللغة ؟ . . . وما الحل ؟ .
المحكوم عليه : الحل أن تضربونى ... بواحدة من هذه البنادق . . . واحدة فقط . ليس ضرورياً كل هذا العدد . . . فرصاصة من بندقية قديمة . . . تكفى وأؤكد لكم . . . ولن يسمع أحد شيئاً عن هذا الخطأ . . . وأهلى لا يعرفون النحو . . . (متردداً) مثلكم . . . ولا أظن أن روحى بعد أن أوارى التراب ستبقى مشغولة بمسألة تصحيح الحكم . . . ستجد بلا شك فى العالم الآخر أموراً أهم تشغلها .
الجلاد : (مبتهجاً بهذا الأسلوب) هل رأيت العالم الآخر من قبل ؟ . . .
(يضج الجنود بالضحك)
المحكوم عليه : (ببساطة) طبعاً . . . لا . . . ولذلك فأنا معتبر نفسى على أبواب رحلة . . . رحلة ممتعة . . . لا بد أن يكون هناك شىء بديع . . .
الجلاد : (مشغولا وهو يهرش رأسه) بديع . . . كيف ؟
المحكوم عليه : شىء يختلف عن هذه الدنيا . . . هذا كلام يقتضيه العقل . . . وإلا فما معنى الدنيا والآخرة . . .
الجلاد : (ضاحكاً فى عدم فهم) أنت ذاهب إلى جهنم .
المحكوم عليه : (فى غير غضب) لماذا ؟ . . .
(الجنود يتجمعون حول المحكوم عليه والجلاد ويستمعون إليهما فى سذاجة وانبساط وسرور) .
الجلاد : إنك مجرم . . . وحكموا عليك . . .
المحكوم عليه : (كأنما يناقش مسألة لا تهمه هو) لقد حكموا

على لأنى كنت أقول نفس الكلام الذى كنت تقوله منذ دقائق .

الجلاد : (منزعجاً) نفس الكلام ... ماذا تعنى ؟.. تود أن تتسبب لى فى مصيبة .

المحكوم عليه : (ناظراً إلى الوثاق فى يديه دون أن يتكلم) من يسمعنا الآن . . . نحن هنا إخوان . . .

(الجنود يحاولون فك وثاقه — والجلاد يمنعهم فيدفعونه فى صدره فيكاد يقع ، فيعلو ضحكهم . . . فيلتفت الضابط الكهل والضابط الشاب إليهم) .

جندى رابع : حل . . . وثاقه . . . دعه . . . أليس فى قلبك رحمة ؟ !

جندى ثالث : ماذا فعل لك ؟ . . . أنت لم تذق طعم الأكل منذ أيام . . . ومع ذلك تريد أن تقتله .

الجندى الثانى : يا جماعة . . . بالراحة . . . وإلا رحنا فى داهية . . .

جندى خامس : فى داهية . . . فى داهية . . . ضربوا الأعور على عينه . . .

(يضجون بالضحك) .

المشهد الثانى

(يسمع من بعيد صوت جياد تصهل ، ووقع حوافرها على الأرض . ويقترب الصوت . ثم يدخل فارس يبدو عليه الإجهاد والتعب إلى المسرح من الجانب الأيمن ثم يتوقف لحظة ، ويدور بعينه فى المكان . ثم يندفع إلى المحكوم عليه)

الفارس : هل مت ؟
المحكوم عليه : من زمان (يضحك) .
الفارس : الحمد لله . . .
المحكوم عليه : الحمد لله . . . لأنى مت من زمان .
الفارس : كف عن هذرك ... الحمد لله ... لأنى رأيتك حيًّا . . . لقد انتصرنا . . . نحن نطوق هذا المكان . (متجهًا إلى الضابط الكهل والضابط الشاب) لقد هزمت الحكومة . . . لقد نجحت الثورة . . . هذه المنطقة وقعت فى أيدينا . . . وهى مطوقة الآن . . . ستأتى قواتنا . . . هنا . . . بعد حين . . . قوات الثورة . . .
الضابط الكهل : (فى عدم مبالاة) حلت المشكلة .
الفارس : (وقد صدمه برود القائد الكهل) أى مشكلة ؟ . . . بالطبع حلت مشكلة الشعب . . . لقد سقط الطغاة . . . لقد دسناهم بالأقدام . . . سنحاكم المجرمين . . . الذين استبدوا بالفقراء والضعاف ... سنعيد العدل ... سنبسط...

الضابط الكهل : جميل . . . جميل . . . ولم يعد داع . . .

الفارس : لوجود أمثالك . . .

الضابط الكهل: المهم . . . لم يعد داع لأن أفهم استبدل واستبدل بـ . . .

الفارس : هل جننت ؟ ... أنت ضابط ... وعليك أن تضبط نفسك . . .

الضابط الكهل: تمام . . . تمام . . . استبدل بالإعدام . . . انتهت تماماً . . . الحمد لله . . .

الفارس : (ناظراً إلى المحكوم عليه) ما هى المسألة ؟ . . .

المحكوم عليه: (فى نفس هدوئه وعدم مبالاته) المسألة مسألة نحوية . . .

الفارس : (ضاحكاً) نحوية ... وقوات الثورة تزحف ... (مغيراً لهجته ، وموجهاً الحديث إلى المحكوم عليه) وأنت منذ اللحظة . . . قائد هذه المنطقة ورئيس المحكمة العليا هنا . عليك أن تطهر المنطقة من الخونة ، وأعوان الظالمين . . . وأول من تحاكمهم هذا الضابط . . . هذا الشاب . . .

المحكوم عليه : (ناظراً إلى الكهل وهو يضحك) لقد حاكمتك يا سيدى القائد . . . وحكمت عليك .

الضابط الكهل : بماذا . . . بالإعدام ؟ . . .

المحكوم عليه : الإعدام كلمة لا وجود لها فى القاموس .

الضابط الكهل : صحيح ؟! . . .

المحكوم عليه : بناء عليه ، فقد حكمت عليك المحكمة بالنحو . . .

الضابط الكهل : بالنحو . . . كله . . .

(المحكوم عليه ضاحكاً والجنود يقهقهون ، فى حين يستمر

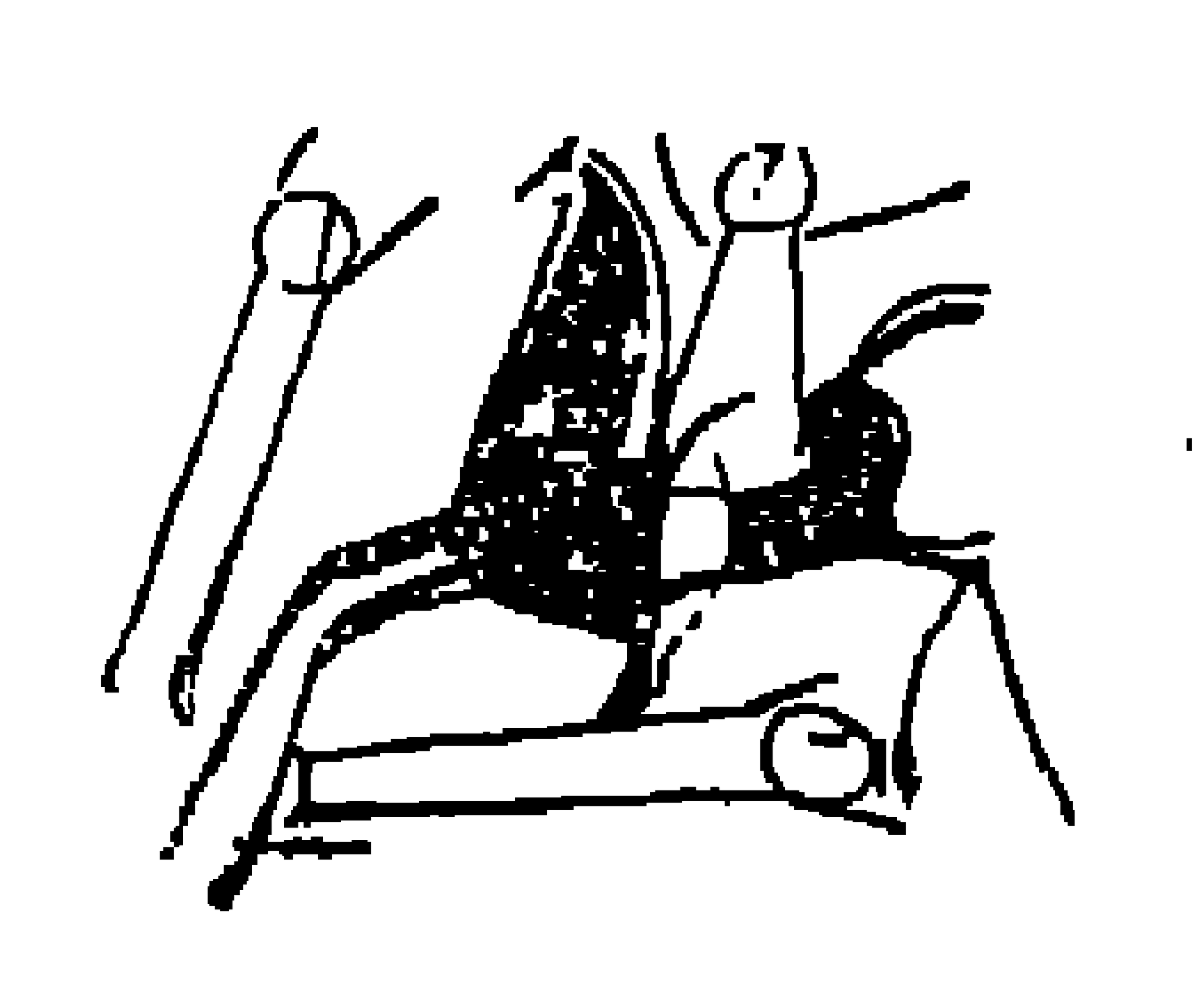
الضابط الشاب فى قراءة الحكم ويهمس) .

الضابط الشاب : استبدل الشىء بالشىء . . . تدخل الباء . . .

المحكوم عليه : بالنحو كله . . .

الضابط الكهل : لا . . . لا . . . هذا ظلم . . . أنا لم أفعل شيئاً أستحق عليه كل هذا العقاب . . .

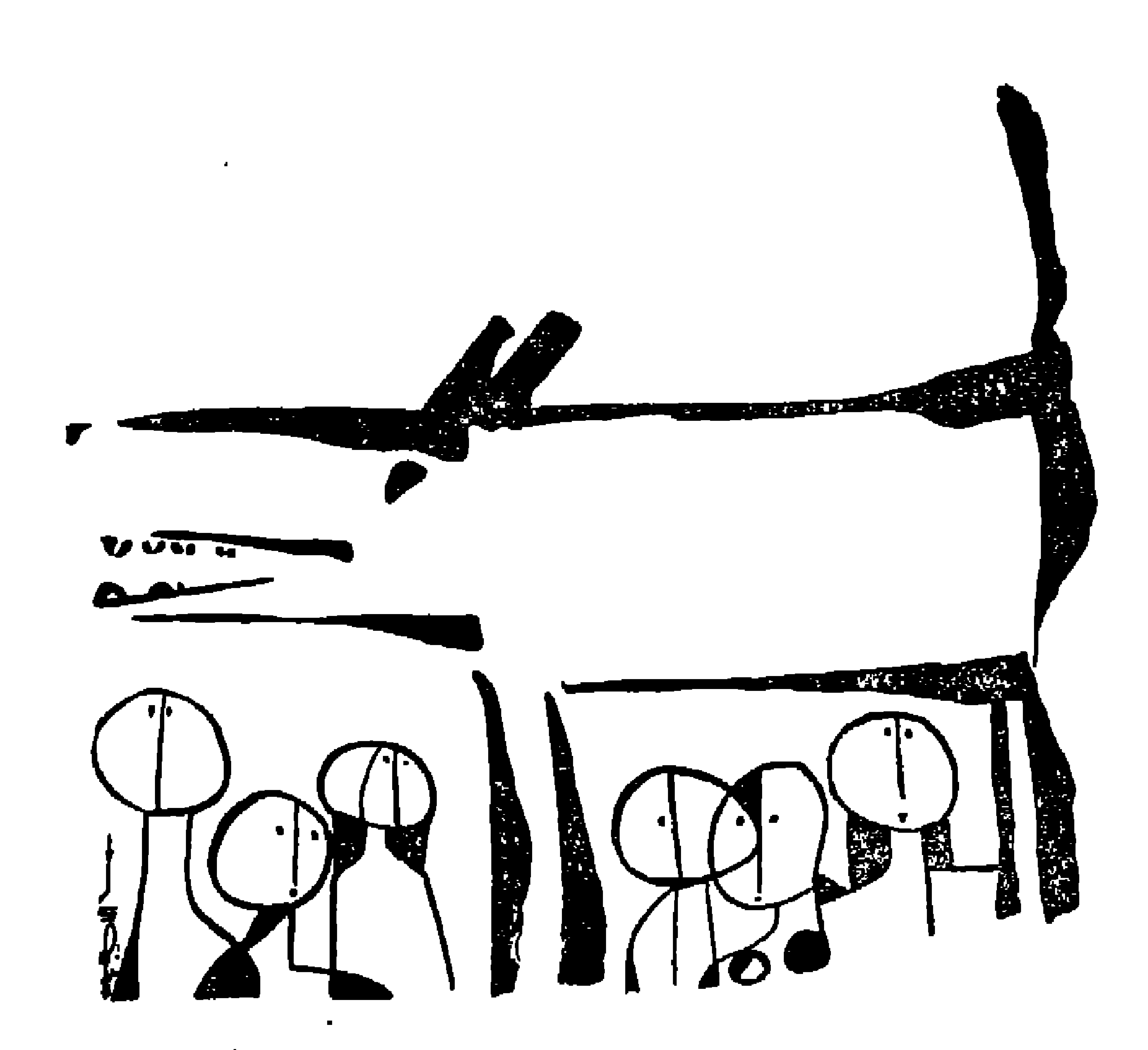
(الجنود يضحكون . والجلاد يفك وثاق المحكوم عليه ويسدل الستار) .



احترس من الكلب

المشهد الأول

حجرة فسيحة ، مستطيلة ، تطل على حديقة تبدو أشجارها من خلال زجاج النوافذ التى تواجه النظارة ، وعلى جوانب هذه النوافذ ، يميناً ويساراً ، علقت صور لكلاب من أنواع مختلفة . (مظلوم) بيده لوحة رسم عليها كلب ضخم يتأملها طويلا أولا ، ثم يحاول وضعها على الحائط فى مسمار ، وهو يصعد على سلم قصير يتأرجح عليه ، وهو يدندن ، بأغنية غير مفهومة ، ثم ينجح فى تعليق الصورة ، بعد قليل من الجهد ويحاول أن يتأمل الصورة فى وضعه هناك على السلم ، فكاد يسقط ، فيعتدل وينزل ، ثم يقف على الأرض ويتأملها ، مقترباً مبتعدا ، مغيراً مكانه منها ، ويحدث بشفتيه صوتاً يدل على الارتياح ، كأنما رأى أمامه طبقاً شهياً .



مظلوم : عظيم . . . عظيم . . . كلب شيان لو . . . وآخر من الأزاس ، وثالث تيرولى ، ورابع كانديش ، وخامس بولدوج . . . الصور واللوحات من عمل فنانين عظماء . . صور عظيمة لكلاب عظيمة . . . عظمة فى عظمة . . . عظمة فى عظمة ، وليس عظمة فى عظمة بتسكين الظاء (يخرج لسانه بشىء من المبالغة) أما الكتب فعلى جنب : عربية وإفرنجية ، مؤلفة ومترجمة .

(يدخل غراب)

غراب : (يكاد يكون كلامه صراخًا) برافو برافا برافسنا . ضبطك يا «اكسلانس» غارقًا إلى الأذقان بعيداً عن الإنسان، مع أخينا العزيز ، من احتل قلبك احتلال الإنجليز . الكلب . . . الكلب (ينتهى حديثه بما يشبه النباح) .

مظلوم : (يرد عليه بالنغمة نفسها مقلداً إياه) صور وكتب ... بكل ريشة وقلم ، ومن كل بلد ووطن .

غراب : أرنى . . . أرنى . . . وأسعدنى وأرشدنى ، وفهمنى وعلمنى . . . علمناكم الشحاذة سبقتمونا على الأبواب . . .

مظلوم : ولكن عيب ، فالعين لا تعلو على الحاجب ، والاعتراف بفضل الأستاذ واجب . خذ يا سيدى ، كتابًا أصله هندى ، والثانى قديم من أيام جدى . والثالث والله لا أعرف كيف وجدته عندى ، كتاب إفريقى ومعه إغريقى ، أو بلجيكى أو أمريكى .

غراب : يا صلاة النبي . يا صلاة الزين ، والصور تخلب اللب

وتسحر العين . من أين جاءت ؛ وأى يد بها جادت ؟

مظلوم : من كل واد أثر : من تحت الربع وخان الخليلى ؛ يشفى روحى وغليلى ومن السوق السوداء ، وسور الأزبكية ، أشياء وأشياء ، نادرة وبهية .

غراب : وقرأت كل هذه الكتب ؟ وعرفت جواب هذا وماذا ؟ . . .

مظلوم : عرفت ، ولكن . . . هذا قطرة من الثقافة الكلبية ، التى لا نعرف شطآنها ، ويغرق الناس فى خلجانها !

غراب : (يجلس ويضع ساقًا على ساق ، ويخرج من جيبه غليونه) وماذا أيضًا أيها الهمام ؟

مظلوم : (واقفًا أمام غراب وكأنه يلقى محاضرة) مثلا الكلب عبر التاريخ ، سمعت عن شىء كهذا ؟ الكلاب المصرية فى المعابد الفرعونية ، الكلب إله . والكلب فى القرآن والتوراة . كلب أهل الكهف ، وكلب يقتل بالمائة والألف .

غراب : « فورم دابل » . . . « فورم دابل » . (مصفقاً بيديه ورجليه) شىء عظيم . . . أنا الآن مستريح الخاطر ، فالثقافة الكلبية والوعى الكلبى هما علامتان على طريق التقدم . . . سنتقدم يا صديقى ، سنتقدم .
(يهز يد مظلوم بشدة) .

مظلوم : تذكرت آخر حلقة فى هذه السلسلة ، اللوحة التى نصحتنى بوضعها فى الحديقة اتقاء للمسئولية ، وحماية للناس (يعدو إلى ركن من أركان الحجرة ، ويعود ومعه لوحة كتب عليها بخط جميل : « احترس من الكلب » . ويدعها ويحضر ثانية وثالثة كتب على إحداهما نفس العبارة بالخط الفارسى ، وعلى الأخرى بخط الثلث) .

غراب : (يقف ويتأمل هذه اللوحات . ويأتى بحركات غريبة بوجهه وجسمه . وهو يتحرك أمام اللوحات . كأنما يستعرض جيشاً وفى يده غليونه ، يمسكه بطريقة تفيض بغروره ؛ ويكرر فى هذا الاستعراض « فورم دابل » . عظيم . « فورم دابل » عظيم . ثم يندفع نحو مظلوم ويصافحه بطريقة عصبية عنيفة) : تهانى تهانى . كل شىء . مضبوط . لقد تغيرت تماماً ، وأصبحت عقليتك شيئاً جديداً . . . لقد تخلصت نهائياً وبصفة قاطعة . من رواسب الماضى . . . بقى انتظار النتائج الباهرة . . . النتائج الساحرة . . . لقد أصبحت زعيماً من زعماء الثقافة الكلبية !
(يخرج غراب من جيبه برقية ، ويقرأ بصوت عال) :
يحضر الكلب بعد غد فى قطار الصعيد الذى يصل إلى القاهرة الثامنة مساء .

المشهد الثانى

مظلوم : (يرفع سماعة التليفون) نعم . . . نعم ... أنا مظلوم . . . أنا هو ، منزلى رقم ١٧ بشارع السماحة ... السماحة . . . السماحة بالحاء لا السماجة بالجيم . . . سيادتك طالب . . . آه لا . . . لا . . . العفو العفو . . . نحن تحت الأوامر ، لكنه لم يصل . . . والله لم يصل . . . وحينما يصل بإذن الله سيكون مصدر الاطمئنان للمنطقة كلها . . .

للحى كله . . . سيكون حارس الجميع . سيادتك رأيته . . .
رأيته بنفسك فى الحديقة . حديقة منزلى . شىء عجيب جداً
سيادتك رأيت الكلب قبل وصوله . . . ربما رأيت كلباً
آخر . . . تقول سيادتك إنه كلب طويل ورشيق وبنقط
سوداء وبيضاء ، وفى الظهر . . . فى منتصف الظهر . هذا
ليس كلبى ، وكلبى أنا بالذات لا أعرف شكله ولا لونه
ولا طوله ولا عرضه . لأنى لم أره .. سيصل الليلة . .
أرجوك . دعنى أكمل الكلام . . .
أنا لا أخفى شيئاً . . . وعندما يصل الكلب سيراه الجميع . .
آه اللوحة . . . لوحة « احترس من الكلب » كتبناها مقدماً
مقدماً من قبيل الاحتياط . . . لعلنا تعجلنا قليلاً .
ولكنه لا بأس هذه المرة ، وإن كانت العجلة من الشيطان
عادة . سيادتك تقصد أننى أداعبك ، وأن مزاحى ثقيل .
والله ما ثقيل إلا أنت ، وما كذاب إلا حضرتك يا قليل
الأدب . . . اسمع كلام صاحب الكلب (يسمع من
السماعة صوتاً رفيعاً وحاداً مندفعاً كنباح الكلب) .

غراب : (يحاول أن يسكته) حاسب . . . حاسب . . . الكلب
لم يصل . . . فى السكة . . . فى القطار . . . لا تريد أن
تسمع ، سأسمعك برغم أنفك لا كلب عندنا ، لا كلب
عندنا (ينتهى كلامه بنباح كامل للكلب) .

المشهد الثالث

(صمت طويل)

(جرس عميق يقطع الصمت)

مظلوم : يفيق من إغفاءة ، يتلفت حواليه فى دهشة ، ثم يقف ، ثم يتجه نحو الباب الخارجى للشقة . يفتح الباب ، يدخل رجل طويل مهاب .

الأستاذ : هل أستطيع الدخول ؟

مظلوم : بكل تأكيد .

الأستاذ : لا تؤاخذنى ، لقد جئت للزيارة بغير سابق موعد .

مظلوم : أنا على كل حال سعيد بهذه الزيارة . تفضل .

الأستاذ : (ينتبه إلى أنه لم يقدم نفسه ، فيخرج بشىء من اللهفة من جيبه بطاقة ويقدمها لمظلوم) .

مظلوم : (يقرأ البطاقة) فهيم . . . (يصحح نفسه) الأستاذ فهيم نبيه زكى .

الأستاذ : (يهز رأسه علامة الموافقة) .

مظلوم : (يحاول قراءة وظيفة الأستاذ) أستاذ البستا البستالو لولى لا . . . له . . . فا فاموفو . . .

الأستاذ : (ضاحكاً ضحكة خفيفة) علم اسمه طويل قليلا . . . البستالولا فامور يزا لوجى .

مظلوم : هذا كله اسم .

غراب : علم واحد . . . أم مجموعة علوم ؟

الأستاذ : (ضاحكاً بوقار) فرع من قسم من علم .
غراب ومظلوم : (معاً) يا سلام !
الأستاذ : يا بني الاتجاه الآن نحو التخصص . . . غداً . . . أو قريباً .أقصد البستالولا فاموريزا لوجى ستخرج منه ثلاثة فروع : واحد عن البستالو مانتى دولوجى .
مظلوم : جميل . . .
غراب : جميل خالص .
الأستاذ : والثانى عن البستالويزاكو لبايولوجى .
مظلوم : والله ما تتعب نفسك ما دام الفرع الثالث لم يولد بعد .
الأستاذ : (مصححاً) ولا الأول والثانى .
غراب : أحسن . . . لا داعى للعجلة . . .
مظلوم : صحيح فى التأنى السلامة !
الأستاذ : هل تسمحون لى أن أكشف عن سر زيارتى غير المنتظرة ، وغير اللائقة ، وغير المسبوقة بموعد .
مظلوم : على كل حال لقد حصل لنا الشرف . فزيارة أستاذ فى البستا (ينظر إلى غراب) ساعدنى يا أخ غراب ! .
غراب : أقول اسم العلم الأصلى أو الفروع ؟
مظلوم : كما تحب ، قل شيئاً والسلام .
الأستاذ : لا . . . لا والله لا داعى للتعب ، فأنا فاهم وأنتم فاهمون .
مظلوم : طبعاً .
الأستاذ : المهم أنا جئت طالباً القرب .
مظلوم : القرب ! !
الأستاذ : نعم ، القرب . . . ما وجه الغرابة ؟
مظلوم : أى شرف عظيم يا سيدى الأستاذ سينالنا بالقرب من أستاذ

البس البس البس شانا تانا تاتا . . .

الأستاذ : والله لا تتعب نفسك . . .

مظلوم : (مستمراً فى المحاولة) تتاتا تال لو لا لا . . . يشرفنا بطلب القرب . ولكن العين بصيرة واليد قصيرة .

الأستاذ : (مأخوذاً) كيف ؟ ما هذا التواضع ! حضرتك من العلماء ؟ هذه صفة العلماء .

مظلوم : طبعاً أنا عالم بالحال . . . لا ولد ، ولا بنت ، ولا أخت ، ولا بنت أخت . . .

الأستاذ : لا . . . لا . أنا عاتب عليك يا أستاذ . . .

مظلوم : (مكملا) مظلوم . . . اسمى مظلوم .

الأستاذ : يا أستاذ مظلوم عاتب لأنك تتجاهل ، مع أنك عارف جيداً غرضى . . . أنا طالب أول مواليد كلبتكم ليكون زوجاً لكلبتى العانس التى طالت عزوبتها .

غراب : إن شاء الله بمجرد وصوله من الصعيد . . .

الأستاذ : صعيد . . . صعيد ، عمّ تتكلم يا عزيزى . . . أنا أحدثك عن كلبة رأيتها بعينى ، بعينى رأسى ! . . . مالى أنا وكلاب الصعيد ؟

مظلوم : أصل الكلب الذى رأيته سيادتك رأى العين ، هو نفسه الكلب الذى لا يزال فى الصعيد ، والذى نحن فى انتظار تشريفه .

الأستاذ : يا أستاذ إلى هنا ، ويجب أن نقف . فلكل شىء حد . تقول هذا ونحن جيران ، والاحترام المتبادل واجب بين الجيران . أرى الكلبة أمامى تروح وتغدو ، غاية فى الرشاقة وآية فى الجمال ، ثم تقول إنها لم تصل ، وتقلبها من الأنوثة

إلى الذكورة . المعنى أنى أهذى . إنى أخرف .. إنى . . .
ذ ذ ذ (تصيبه حالة عصبية تمنعه من إكمال الكلام) . . .

مظلوم : وأنا بحكم الجيرة ، ولأن النبي وصى على سابع جار ، وسيادتك جار ملاصق ، فاللازم تكرمنى ، وإكرامى أنك تصدقنى . وحينما تصدقنى ، لا يجوز أن تذكر كلباً لم تره عيناى ، ولا أعرف له لوناً ، ولا حجماً ، ولا أصلا ولا فصلا . نعم . يجب احتراماً لمشاعرى وإحساساتى ألا تذكر الكلب ابن الكلب .

الأستاذ : (فى غضب) وسيادتك تشتم الكلب أيضاً (والحالة العصبية لا تزال تمنعه من النطق بسهولة) .

مظلوم : (متحدياً) أنا شتمته .

الأستاذ : (أكثر هياجاً) لسيادتك غرام فى تكذيبى : تكذبنى على طول الخط أقول لك رأيت الكلبة بعينى هذه ، فتقسم أنه لم يصل من الصعيد . أقول إنك شتمت الكلب أمامى الآن وحالا . تقول فى اندهاش عظيم أنا شتمته ؟ . لا . . . لا الأمور لا تصلح هكذا . قليل من الصدق ، قليل من الأمانة ، يحدث هذا منك ، وأنا أقول عنك إنك مثقف ومستنير ، ومتمدين ومتقدم ومتفتح على الحضارات والثقافات بفضل ثقافتك الكلبية الممتازة ، ووعيك الكلبي العظيم .

مظلوم : (يحاول عبثاً إسكاته) أنا كذاب ويعوزنى الصدق ، وأحتاج إلى أمانة لمجرد أن الكلب لم يصل . . . لا بد أن يصل تبعاً لأوامر سيادتك . . . وألا يصدر من سيادة أستاذ الفاصوليا لا لا قرار حرمان ضدي . ثم يتهمنى زوراً وعدوانا بأنى

شتمت الكلب ، وإنى أسألك بدورك ، متى وأين وكيف ؟

الأستاذ : (ينتفض واقفاً) يا ناس ألحقونى . سأنفجر ، سيطير من مخى برج بل أبراج . ألم تقل الآن على مسمع منى : الكلب ابن الكلب .

مظلوم : (وكأنه يهم بالهجوم عليه) وهذه سبة يا سيدى ، يا أستاذ الفاصوليا لى لى لى لى لى دادا . وتزعم أن عند سيادتك ذرة من الثقافة الكلبية والوعى الكلبى . الكلب ابن الكلب فى عالم الكلاب ، غاية المدح فهى على وزن الأصيل ابن الأصيل فالكلب عندنا حيوان كريم

الأستاذ : (مكتشفاً خطأه) آه . . . هذ هو قصدك ، لقد خفى علىّ إذن حقك علىّ ، ودعنى أعتذر إليك بتقبيل رأسك مثنى وثلاث . ولنعد إلى الموضوع .

مظلوم : (كأنما يريد أن ينهى الموقف بأى ثمن) ننهى الموضوع . وما هو الموضوع ؟

الأستاذ : أنا طالب القرب .

مظلوم وغراب معاً : مرة ثانية ؟

الأستاذ : ثانية وثالثة . . . ما معنى هذا الكلام . هل رفضتم طلبى (يهم بشرح شىء) .

مظلوم : أبداً . . . لا رفضنا ولا يحزنون .

الأستاذ : الحق أنى أريد أن أعرف سر إنكارك للكلب ، هل هو ـ لا سمح الله ـ مسروق .

مظلوم : لا مسروق ولا محروق ولا مدعوق . سيادتك ، يعنى كلبة سيادتك فى شوق إلى مصاهرة كلب سيادتنا . تحت الأوامر ، سننفذ الطلبات على العين والرأس وبلا مناقشة ، ومع السرور

وعظيم الامتنان .

الأستاذ : لا . . . لا هذه اللهجة لا تعجبنى . إنها تسديد خانة . ولوحات احترس من الكلب تملأ الشقة بكل خط ، وأنت مصمم بعناد على أن الكلبة غير موجودة .

مظلوم : أنا مصمم ؟ من قال هذا ؟ أين هو هذا الكذاب الأشر ، لنستخرج عينيه ، ونشد أذنيه ، ونسقيه العلقم ، ونصبغه بالكركم ونصفع قفاه ، ونسب أباه ؟ . . . أتنكر الشمس فى رائعة النهار ؟ وهل تصدق مظلومـًا ، وتكذب لوحات بالثلث والرقعة ، والفارسى والكوفى (يقلد الأستاذ) .

الأستاذ : (يبدأ يخاف من لهجة مظلوم ومن شكله الهجومى فيتراجع إلى الخلف بظهره ناحية الباب ، ومظلوم متعقبه ويدفعه فى صدره ، بأصبعه كأنما يخزه به وخزاً حتى لا يكاد يقع على ظهره وينسحب ثم يعدو ويخرج) .

(يعود مظلوم إلى مقعده الطويل « الشيزلونج » ويرتمى عليه ، ويخرج « غراب » فازاً من المنزل ، يدق التليفون ، ويستمر فى الدق طويلا فلا يرد عليه مظلوم . ثم يعود إلى الدق ، فيقوم ويرفع سماعة التليفون فيسمع من السماعة صوتـًا نسائيـًا ، يندفع اندفاعـًا وكأنه أزيز طيارة فيعيد السماعة إلى موضعها . يعود التليفون إلى الدق وبعد أن يتركه مظلوم طويلا ، يقوم متثاقلا ، ويرفع السماعة ، فيعود الصوت النسائى الرفيع الحاد المنطلق ، فيهز مظلوم يده فى الهواء علامة الاشمئزاز والاحتجاج ، كأنما يذب عن نفسه أسرابـًا من الناموس ، وبعد أن يعيد السماعة إلى مكانها ، يرفعها ويتركها

تتأرجح فى الهواء ، كأنها جثة مشقوقة .

مظاوم : (وهو يهم بالتمدد على « الشيزلونج » ثانية) كلاب . . . كلاب . . . كلاب .

(ينام ، فيسمع له شخير خفيف ، دليل استغراقه فى النوم ، والظلام يزداد شيئًا فشيئًا ، حتى يشمل المكان تمامًا ، ثم تبدأ الكوابيس تهاجمه فيستيقظ وهو يصرخ صراخًا كنباح الكلب ، ثم يعود إلى النوم ، وإلى الاستيقاظ المفاجئ وهكذا ، حتى يهدأ أخيراً . . .

صمت عميق . . . ثم يسمع صوت جرس خفيف يشتد شيئًا فشيئًا) .

المشهد الثالث

يذهب مظلوم إلى الباب ، فيرى رجلا طويلا نحيلا ، يرتدى معطفاً منزلياً (روب) ويدير حول عنقه (كوفية) صوفية ويضع على رأسه طرطوراً من الصوف كذلك . تبدو عصبية فى حركات يديه والنصف الأعلى من جسمه ، وتقاطيع وجهه .

مظلوم : أفندم ! . . .

الطارق : (لا يتكلم) .

مظلوم : خير إن شاء الله !

الطارق : أنا متألم .

مظلوم : متألم ؟ سيادتك متألم من ماذا لا سمح الله ؟ !

الطارق : متألم جداً .
مظلوم : منى ؟ من أى شىء .
الطارق : من هذه الزيارة .
مظلوم : آه . على كل حال نحن جيران . والجيران بعضهم لبعض . اتفضل . ادخل هنا تيار .
الطارق : ولكنى متألم وخجل وفى غاية الشقاء (يعطس) ولست أدرى كيف أعتذر لك (يعطس) .
مظلوم : تفضل يا سعادة البيه . لقد بدأت تصاب ببرد . وسأصبح أنا المتألم والخجل ، وسأعجز عن الاعتذار لك .
الطارق : (يعطس ثم يدخل) . أصاب بالبرد غير مهم . باحتقان اللوزتين شىء تافه . بالتهاب رئوى فى داهية . ولكن أن أوقظك فى الليل البهيم ، هذا هو الخطأ الذى لا يعتذر عنه .
مظلوم : لا تعذب نفسك . أنا نومى خفيف ، ومتقطع . وأعصابى عمومًا جيدة . المهم نسمع أوامر سعادتك .
الطارق : أنا أغبطك . أنا أحسدك . أنا . . . أنا . . . (يعود إلى العطس) .
مظلوم : تحسدنى على أى شىء ؟
الطارق : على النوم .
مظلوم : (غير فاهم) النوم ؟
الطارق : طبعا .
مظلوم : أى نوم ؟
الطارق : نومك .
مظلوم : نومى تحت أمرك . خذ نومى كله وأحلامى السعيدة ، وكوابيسى .

الطارق : أنت سعيد ، أنت فى جنة . نفسى أنام .
مظلوم : تنام ؟
الطارق : آه أنام . . .
مظلوم : هل أنا أقلقتك فى النوم . ما الذى حدث منى ، لأمنعه فوراً .
الطارق : (متردداً) سعادتك . . . الكلب .
مظلوم : سعادتى . . . الكلب .
الطارق : آه . . .
مظلوم : آه . . . آه لا تكفى ، كلبى أزعج سعادتك .
الطارق : جداً .
مظلوم : يعنى نباحه .
الطارق : والله أنا خجل ، أنا لا أدرى كيف أعتذر لك ، ولا كيف أيقظتك من النوم فى الليل البهيم ؟ !
مظلوم : لا يهمك الليل البهيم ، ولا الليل الحيوان . أنا استيقظت وما كان كان . وتأكد أنى لم أكن نائماً ، وأن المشكلة هى كيف نسكت هذا الكلب .
الطارق : غير ممكن .
مظلوم : لا . . . كل شىء ممكن . ولسعادتك يكون المستحيل ممكناً والبعيد قريباً ، والعسير يسيراً .
الطارق : (يخطف يده ويريد أن يقبلها) .
مظلوم : ما الذى تفعله يا سيدى ؟ !
الطارق : دعنى أقبل يديك .
مظلوم : لا ضرورة لهذا الإحراج . أنا الذى يجب عليه أن يقبل يديك ورجليك .

الطارق : (يأتى بحركة عنيفة بكل جسمه علامة الاحتجاج) لا تقل هذا . أرجوك أرجوك أرجوك .

مظاوم : لا ترجونى من فضلك ، ودعنا نواجه المشكلة معاً .

الطارق : (مأخوذاً) مشكلة . أفى الموضوع مشكلة . أنا أعتذر . أنا خجل . أنا لا بد أن أتوارى .

مظلوم : (وقد نفد صبره) لا تتوار ولا تتدار . المشكلة أن الكلب الذى أزعج سعادتك غير موجود . ولو كان موجوداً لضربته بالرصاص ، ولشيعنا جثمانه فى جنازة رسمية علنية شعبية قوية ،

الطارق : (متراجعاً وخائفاً) من فضلك ، من فضلك .

مظلوم : من فضلى من فضلى . ما الذى أعمله . كلب غير موجود ، ولكن ينبح ولا يكتفى بالنباح بالنهار ، ينبح بالليل . ولا ينبح بالليل العادى الذى أعرفه أنا ويعرفه بقية الناس ، إنما فى الليل البهيم الذى لم أره فى حياتى ، ولا أظن أننى سأراه ! .

الطارق : (يهم بالوقوف ويبدو عليه خوف حقيقى) ؛ الكلب غير موجود ! ؟

مظلوم : (مندفع فى حماسة) طبعاً . هل يمكن إنكار كلب موجود .

الطارق : (وهو يتجه نحو الباب) ولكنى أسمع نباحه . . . نباحه . . . نباحه . . .

مظلوم : أنت يا سيدى تسمع نباح « احترس من الكلب » . هذه اللوحة اللعينة .

(يجرى نحو ركن الحجرة ويأخذ فى تحطيم اللوحات ، لوحة بعد لوحة ، ويبعثر أجزاءها فى الهواء ، بحركة عصبية ، فيجرى الطارق فى ذعر شديد) .

المشهد الرابع

مظلوم : (فى حديقة منزله تحت « تكعيبة عنب» ، وأمامه مائدة ، فوقها براد ، وفناجين شاى وأطباق عليها بعض الفطائر والكعك ، والفاكهة . مع مظلوم . صديق متأنق . يبدو عليه إعجابه بنفسه . وبجمال وجهه ورشاقة قوامه) .

الصديق : تقول إن لطيفة ستأتى الآن حالا ؟

مظلوم : زوجها هو الذى سيأتى وستأتى معه .

الصديق : زوجها لا يهمنى . إنما هى . هى التى تهمنى . جمال غير معقول .

مظلوم : ما الذى حدث ؟ أتتغزل فى جمال زوجة صديق لنا هكذا بلا احتشام ؟ !

الصديق : هو صديقك أنت . أما أنا فلا أعرفهما إلا منك . معرفة سطحية . خارجة . لا تفرض على التزامات أو واجبات ، وتعطينى الحق كل الحق فى أن أموت فى هواها ، وأن أعلن هذا للرائح والغادى ، والعاشق والفاضى ، والدانى والقاصى .

مظلوم : اسكت . . . اسكت . . . ها هما حاضران .

الصديق : يا ألطاف الله البهية !

(يدخل الصديق وزوجته ، فيسرع مظلوم باستقبالهما ويجلس الجميع حول مائدة الشاى) .

الزوجة : يا له من مكان لطيف !

الصديق : لقد أصبح لطيفاً بوجودكما . منذ متى (موجهاً الكلام لزوجها) لم أركما .

الزوج : آخر مرة اجتمعنا هنا فى هذه الحديقة . ولكن لم يكن فيها كلب .

الزوجة : (صارخة) كلب . . . دعونا ندخل إلى الصالون . أنا أموت من الكلاب

الزوج : الكلب مقيد ، وبعيد عنا .

مظلوم : الكلب غير موجود بالمرة .

الزوجة : (فى حالة ذعر شديد) . لا تكذب على . . . أنا منذ قرأت احترس من الكلب ، وأنا لا أكاد أتمالك نفسى .

مظلوم : هذه اللوحة لا معنى لها . . .

الزوجة : لا معنى لها ؟ ! يعنى لا فائدة من الاحتراس من الكلب .

مظلوم : بل لأن الكلب لم يحضر بعد . سيرسله لى صديقى غراب من أرمنت . ومع كثرة الوعود لا أصدق .

الصديق : تأكدى يا هانم أن الكلب غير موجود واطمئنى ، ومع ذلك فأنا صياد ، ولو اقترب منك لأرديته قتيلا .

(يقرب مقعده منها)

مظلوم : دعونا نتناول الشاى قبل أن يبرد ، وأنا متأكد أننا سننسى الكلب بفضل أحاديث أخينا الممتعة (يشير إلى الصديق) ومغامراته التى لا تنتهى . . .

الصديق : (يسكب الشاى للزوجة ثم لزوجها ثم لمظلوم ويبدأ الجميع يتناولون الشاى بخلو بال) .

الزوجة : (صارخة) الكلب . . .

مظلوم : (مرتعداً) أين هو ؟ !

الزوجة : (مقتربة من الصديق الذى انتهز الفرصة وأمسك بيديها) لقد أحسست بفمه يمر فوق ركبتى . . .

مظلوم : فوق الركبة (ينظر إلى صديقه) أؤكد لك يا هانم أن الكلب غير موجود . لا تشغلى بالك به ، الله يقطع الكلب وسنين الكلب (يدفع صديقه فى صدره) أؤكد لك أن الكلب أكثر أدباً مما تظنين !

(يعودون إلى تناول الشاى ، وقضم الفطائر)

الزوجة : ولكن مجرد النظر إلى هذه اللوحة « احترس من الكلب » ، يجعلنى أحس أن الكلب يقرب منى ، وأشعر بأنفاسه تهب على وجهى .

الصديق : الظاهر أن الهانم خيالها قوى ، فنانة ولا شك .

الزوج : إنها تحب الرسم . . . ولكن بعد الأولاد لا تجد فراغاً .

الصديق : لا . هذه خسارة فادحة . . . لا بد أن تعودى إلى الفن . الفن أجمل شىء . إنه الشىء الوحيد الخالد الباقى .

الزوجة : (تصرخ) الكلب . . .

الجميع : (يصرخون) : الكلب .

مظلوم : ماذا فعل الكلب ثانية . . .

الزوجة : انظر (تكشف عن ركبتها ، فيبدو موضع قرصة ظاهرة)

مظلوم : (يدفع صديقه فى صدره) هذه المرة ، ليست المسألة وهماً . هذا احمرار واضح .

الصديق : الوهم يفعل أكثر من ذلك .

مظلوم : بودى أن أعطى الوهم قلمين على صدغه .

الصديق : إياك أن تفعل ، فالوهم أحياناً يركل برجليه .

مظلوم : أنا أعرف أن الوهم حمار . . .

الصديق : والله إن الذى يقول عن الوهم حمار ، هو . . .

مظلوم : لا تطل لسانك . . . اسمعى يا هانم الأفضل أن ننهى هذه الجلسة . لأن أعصابك متعبة . . . والمرة القادمة لن تجدى لوحة « احترس من الكلب » .

(تقوم الزوجة والزوج ويحييان وينصرفان ويبقى مظلوم وصديقه) .

مظلوم : ألا تستحى . . .

الصديق : أستحى . . . أجد كل هذا الجمال بجانبى . وأجد فرصة يتيحها لى الكلب ، وأضيعها . . . أنا أشكرك وأشكر كلبك . . .

مظلوم : تعال . . . تعال . . . لنسوى حسابنا فى الداخل . . .
(يدخلان)

المشهد الخامس

يبدأ الظلام ينقشع قليلا ، ويطلع الفجر ، فيفجر الضياء الحجرة تدريجياً ، ويشرع مظلوم يحرك ذراعيه ، ثم يفيق ويتلفت حواليه ويقف ويتجه نحو النافذة، ويفتحها ويستنشق الهواء بملء رئتيه ، ويسمع صوت زقزقة العصافير على أغصان الأشجار التى تشاهد من زجاج نوافذ الحجرة مظلوم يحدق النظر فى الخارج .

مظلوم : يا فتاح يا عليم . ومن يكون من هؤلاء أيضاً ؟ !

(يدق جرس الباب فيسرع إليه بهمة ، وكأنه نوى أن يواجه قدره بشجاعة) .

مظلوم : (وهو يفتح الباب) طلبات السيادة .

عسكرى : (فى يده ورقة) حضرتك مظلوم . . .

مظلوم : (مقاطعاً) آه . . . أنا . . .

العسكرى : (يشير إلى بنت صغيرة واقفة إلى جواره ومعها رجل يبدو أنه والدها) أصل البنت . . .

مظلوم : (مكملا) عضها الكلب .

العسكرى : (مندهشاً) حضرتك عندك خبر ؟ !

مظلوم : (فى عدم اكتراث) طبعاً .

العسكرى : كيف عرفت سيادتك ؟

مظلوم : عرفت والسلام . إنه كلبى وأنا عارف أنه ضرورى يعضها !

العسكرى : يعنى يا سيادة الأفندى . عندك كلب مسعور وطالقه (طالجه) على عباد الله يعضهم يميناً وشمالا .

مظلوم : مزاجى . . . أحب يكون عندى كلب يعض الناس .

العسكرى : والناس آذوا سيادتك . عكروا مزاجك . . .

مظلوم : يا شاويش الناس لا يستحقون غير هذا . . .

العسكرى : عض الكلاب ؟ !

مظلوم : وعض الثعابين وعض السباع والضباع . والفيل (أبو زلومة) والسيد قشطة والبغبغان والكروان ، وكل حيوان . . .

العسكرى : يا سلام . كلام سيادتك — بلا مؤاخذة فى الكلمة — هو سيادتك عندك مثلا (يدير أصبعيه جنب صدغه إشارة إلى الجنون) .

مظلوم : عندى . . . آه عندى . . . حاجات ما لها آخر . . .

العسكرى : وحاجات من أى نوع ؟

مظلوم : يا سعادة الشاويش لا تحشر نفسك فيما لا يهمك . . . كن بعيداً عن هذا الهم . . .

العسكرى : أحشر نفسى ؟! أحشر نفسى ؟! أنت فاهم أن الأمور تجرى بلا قانون (جانون) هناك قانون ومحاكم و «بوليس» .

مظلوم : كل هذا موجود . . . وأنا هنا مشغول بكلابى ، كلاب تعض الناس يميناً وشمالا ، مبروك عليك يا سعادة الشاويش لأنك تعرف ما لا أعرف ، وأنا لا أعرف غير الكلاب التى تعض . . .

العسكرى : فى يمين وشمال . . .

مظلوم : تمام .

العسكرى : معنى الكلام أنك معترف . . .

مظلوم : معترف ، وألف معترف (ينظر إلى البنت) عضك فى أى مكان يا شاطرة ؟! .

البنت : (وكأنها تردد كلاماً محفوظاً) . تحت الركبة « باثنين سنى » .

مظلوم : (متظاهراً بالألم) أف ... أف ... وهل سمعت عن السنى ؟

البنت : (مرتبكة) لا . .

أبو البنت : طبعاً يا سيدنا الأفندى تعرف السنى والبوصة .

مظلوم : ما شاء الله . . . والذراع والباع . . . عظيم ، عظيم جداً . (متجها إلى البنت) هل رأيت البوصة والسنى ؟

البنت : أبداً .

أبو البنت : (ملاحقاً إياها) أسكنى العمى فى عينك .

البنت : (منفجرة فى البكاء) والله ما رأيت السنى ولا البوصة . . .

أبوها : (لمظلوم) مبسوط . البنت خافت . كفاية كلبك عضها .
مظلوم : أنا وكلبي متشابهان . هو يعضها ، وأنا أبكيها .
أبو البنت : سيادتك مبسوط ، ومزاجك تهزئ الناس .
مظلوم : (وقد أمسك أبو البنت بتلابيبه) . طيب . طيب . أبعد يديك . . .
طلباتكم وافقت عليها كلها . اعترفت بعضة الكلب . أنا كذبتكم ؟ أنا تعبتكم ؟ مطلوب شيء آخر . هات رأسك . وحقك علي .
الشاويش : (متأثراً) عداك العيب ، يا سيادة الأفندى . والله ابن أصول .
مظلوم : من ذوقك ولطفك اتفضلوا نشرب فنجان قهوة ونكتب المحضر .
الشاويش : (وقد بدأ يفكر فى العدول عن كتابة المحضر) ضرورى محضر يا معلم عثمان (ناظراً إلى والد البنت) .
الوالد : (مرتبكاً) . أنا عارف ؟ ! المسألة بين يديك .
مظلوم : تفضلوا . . . تفضلوا . . .
(يجلسون ويبدو عليهم الارتياح ، يقدم مظلوم للبنت الصغيرة حلوى ، وللعسكرى والوالد سجائر ، ويشعلها لهما ، فينفثان منها الدخان فى تذوق وتلذذ بادين) .
العسكرى : (محاولا التقرب إلى مظلوم) : هواى أقول (أجول) .
مظلوم : تفضل . . . تفضل يا سعادة الشاويش .
العسكرى : يعنى واحد مثل سعادتك كله ذوق ولطافة ، لازم له كلب . . .
مظلوم : على رأيك . . . قلة عقل . . . واحد صاحبي ، فكر فى

إهدائى كلباً . هدية . . . خجلت أردها .

العسكرى : هدية كلب ؟ !

مظلوم : عقول الناس !

العسكرى : والعمل ؟

مظلوم : القول قولكم . أسم الكلب أو أضربه بالرصاص ؟ !

العسكرى : يا سلام على الإنسانية . . . والنفس الحلوة .

والدالبنت : (مشفقا أن يضيع وسط هذه المجاملات) سيادتك كلك نظر والبنت صغيرة .

مظلوم : (متجها إلى البنت) الكلب عضك بنابه الصغير أو الكبير ؟

أبوها : (مسرعاً لإنقاذها) بنت صغيرة لا تعرف صغير ولا كبير .

مظلوم : (مستمراً فى سخريته) : عضك قبل ما يمسح شفته أو بعد ما مسحها .

البنت : (مرتبكه) أبداً .

مظلوم : كلب قليل الأدب سأضربه ، وأعلمه الأدب .

الوالد : الوقت راح . ولازم نجرى على رزق العيال .

مظلوم : (يهب واقفاً) يا سلام . فاتت على .

(يسرع إلى الداخل ويدس فى يد العسكرى والوالد شيئاً ، ويحشو يد البنت بالحلوى ، فتملأ البنت فمها منها فى الحال) .

مظلوم : (للبنت) مبسوطة .

البنت : (عاجزة عن الكلام) مبسوطة .

العسكرى : (ينظر فى يده) .

الوالد : (يفعل الشيء نفسه) ربنا يجعله عامراً .

مظلوم : أنا شاكر للكلب ، فرصة تعرفنى بالناس الطيبين . فرصة

سعيدة . . . تمام .

العسكرى : حفظت . . .

الوالد : والله أنتم أطيب الناس وألطفهم . كلك نظر .

العسكرى : أنا لى رجاء واحد .

مظلوم : تفضل يا شاويش — طلباتك على عينى ورأسى .

العسكرى : لا تمس خاطر الكلب بشىء . هو اسمه . . .

مظلوم : عزيز وطلب رخيص . لكن لازم أقيده بسلسلة من حديد .

العسكرى : (متفكراً) سلسلة . لا بأس . . . هو اسمه . . .

مظلوم : والله ما أعرف . لما يشرفنا تعرف اسمه . . .

العسكرى : (شاعراً بالسخرية) يشرفكم . . . يشرفكم ؟ ! سيادتك مصمم على أن الكلب غير موجود .

مظلوم : أنا قلت إنه غير موجود . أنا أقدر أقول هذا الكلام والبلد فيها ، قانون ، وفيها محاكم ، وفيها نظام .

(يدفعهم إلى الوراء بيديه دفعاً)

القسم الثانى

المشهد السادس

المحكمة . حجرة فسيحة . تتصدرها منضدة مهتزة تكاد تقع لفرط ضعفها ، وهى من خشب رخيص ، كان مطلباً فى يوم من الأيام بلون ما لم يبق له من أثر . . وصفوف من المقاعد الخشبية فى مواجهة المنضدة ويعلق فوق المنضدة لوحة مائلة زجاجها مكسور مكتوب عليها بخط الثلث : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

يدخل مظلوم يبدو عليه التردد والخوف وانشغال البال يقرب من شيخ جالس على كرسى

مظلوم : صباح الخير يا عمى .
الشيخ : (يرفع رأسه عن قراءة جريدة ويدقق فى وجه مظلوم كأنما يدقق فى حرف بالجريدة غير ظاهر) أفندم .
مظلوم : (خائفاً) صباح الخير عليك .
الشيخ : (بحنان) صباح الخير . يلزمك شىء ؟
مظلوم : أبداً . . . (بعد قليل) المحكمة ؟
الشيخ : المحكمة طبعاً ، ظاهر أنها المحكمة .
مظلوم : محكمة الكلاب .
الشيخ : (متصوراً أن مظلوماً يريد إهانته) . يا فتاح يا عليم . يا سلام . كلام الناس طوب . هندس يا أفندى .
مظلوم : (يخرج من جيبه ورقة مطوية) أول مرة لى فى المحاكم . ولا أدرى أين أذهب .
الشيخ : (يهز رأسه غير فاهم) .
مظلوم : أصل قضيتى . . . قضية كلب . . .
الشيخ : (ضاحكاً ضحكة قصيرة) كل القضايا قضايا كلاب .
مظلوم : (مصدقاً) صحيح . كل القضايا ! !
الشيخ : (مندهشاً من سذاجة مظلوم) . حضرتك من الريف .
مظلوم : (وقد عاوده الخوف) أبداً من مصر .
الشيخ : (متأملا فى وجهه) مصر ؟ من مصر وأول مرة تدخل المحاكم ولا تعرف المحاكم ؟ !
مظلوم : أبداً . . . أصل كلبى عض لأول مرة .

وإن أردت الحقيقة هو لغاية هذا الوقت لم يعض . وربما لا يقدر له العض .

الشيخ : حكاية الكلب حكاية لطيفة هو طالع على رأسك شيء اسمه الكلب ، ومحاكم الكلاب . وعض ولم يعض ولن يعض .

مظلوم : يحسن ألا أذكر اسم الكلب . . . ممنوع ؟

الشيخ : قل ما يحلو لك . ولكن ما هي الحكاية ؟

مظلوم : الحكاية ، ليس عندى كلب ، ومع ذلك فكلبي غير الموجود عض بنت جارنا ، وكتبنا صلحاً مع ذلك ، وبعد الصلح بلغوا ضدى وطلبوا حضورى للمحكمة .

الشيخ : أنت طيب وابن حلال وعلى نياتك ، وأنصحك لا تذكر حكاية محكمة الكلاب ، واحمد ربنا أنك نجوت من سماسرة المحاكم .

مظلوم : سمسار محاكم ؟ ! أللمحاكم سماسرة ، أم لمحاكم الكلاب وحدها ؟

الشيخ : (محاولا إخفاء ابتسامة) . الظاهر أن حكاية الكلاب من غير نهاية .

مظلوم : يعنى هذه محكمة كل القضايا ؟

الشيخ : ألا تعجبك ؟

مظلوم : عال . . . لكن محكمة كراسيها مكسرة ، وآية العدل مقلوبة ومائلة ، والتراب فوق المنصة أشبار . . . قلت هذه محكمة لأمثالى من المتهمين المبتدئين .

الشيخ : (ضاحكاً) الله يضحكك يا سيدنا لأفندى . أنت اسم سيادتك ؟ (يتوقف قليلا) معك « بريزة » .

مظلوم : « بريزة » فقط .

الشيخ : أنت مستعجل . « بريزة » تكفى . . .
مظلوم : (يخرج من جيبه عشرة قروش) .
الشيخ : (مناديا حاجب الجلسة) يا « باشحاجب » . من فضلك « الرول » .
الحاجب : (يلمح « البريزة » فيأتى مسرعاً) تفضل (يأخذ كشف القضايا ويقدمه لمظلوم) .
مظلوم : (يأخذ الكشف ويحاول القراءة فلا يستطيع ، فيقلبه بين يديه .
مظلوم : ما هذا ؟
الشيخ : « الرول » .
مظلوم : « الرول » ؟
الشيخ : ألم تسمع عن « الرول » من قبل ؟
مظلوم : أبداً .
الشيخ : كشف القضايا . . . اقرأ فيه اسمك ورقم قضيتك . . . هنا يصبح الناس أرقاماً ! .
مظلوم : عال . . . عال . . . شىء خير من لا شىء (بعد محاولة القراءة) لكنى غير قادر على قراءة شىء . أيكون هذا خطاً مخصوصاً لمحاكم الكلاب ؟
الشيخ : ألا تريد يا بنى أن تنسى حكاية الكلاب أبداً . . . الله يجعل اليوم يوم خير ، اسم الكريم ؟
مظلوم : الكريم ؟ ! (متسائلا) .
الشيخ : أنت خام خالص ، اسم حضرتك .
مظلوم : اسمى مظلوم رامى .
الشيخ : (يكرر الأسماء) ستوتة محمدين ، خفاجى العفش ، منصور

الحواوشى ، تمام . . . تمام اسمك . اسمك (يضحك بصوت مرتفع) اسمك مغموم حرامى .

مظلوم : مغموم الحرامى ؟ ! . . . هل حكمت المحكمة ؟ !

الشيخ : (مقهقهاً من أعماق قلبه) الله يجازى شيطانك . الكاتب كتب اسمك مغموم حرامى لأنه مستعجل .

مظلوم : مستعجل ؟ ومن استعجله ؟

الشيخ : (يعود إلى الضحك) التفاهم معك مستحيل . خط الكاتب سيىء .

مظلوم : خطه أو حظى ؟ الفرق نقطة (يضحك مسروراً) .

الشيخ : الله . . . الله . ما دمت ضحكت فإن شاء الله يفرجها دعها لسيدك وهو يعدلها .

(تشاهد حركة ، يدخل الحاجب ، ويضع كتباً على منصة القاضى ثم يدخل الكاتب حاملا صفاً طويلا من القضايا يختفى وراءه) .

الحاجب : (يصرخ) محكمة !

مظلوم : (يرتعد ويقول فى صوت هامس للشيخ) أنا خائف يا عمى .

الشيخ : خايف . . . أنت قتلت أو سرقت ؟

مظلوم : كان أحسن . كلبى لم يعض أحداً .

الشيخ : غداً يعض ، وأنت أيضاً ستعض .

مظلوم : صحيح ؟ !

الشيخ : صحيح وألف صحيح .

مظلوم : سأعض من مثلا .

الشيخ : (يشير إلى سيدة سمينة بأذرع ضخمة عارية) مثلا هذه

فى ذراعها . . . وبعد ذلك ستعض كما تشاء . أصل الإنسان حين يبتدئ لا يعرف كيف ينتهى . . .

مظلوم : الله يبشرك بالخير ، وسأعض من غير محاكم .

الشيخ : محاكم ، المحاكم لمن لا يعض ، ولا تعض كلابه . . .

مظلوم : الله يطمئنك .

(فى هذه الأثناء يكون القاضى قد فرغ من ست قضايا لا نسمع منها شيئاً ولا نرى إلا أشخاصاً يقفون أمام القاضى وينسحبون) .

القاضى : هات سبعة .

الحاجب : (بصوت منغم) مغموم حرامى . . . مغموم حرامى . . . حرامى . . . حرامى .

مظلوم : (يحاول الوصول إلى منصة القاضى فتتعذر عليه تلبية النداء بسرعة ويصل وهو يلهث) أفندم .

القاضى : نائم ؟

مظلوم : لا . . . كنت مع عمى الشيخ .

القاضى : عمك الشيخ ؟

مظلوم : (مشيراً من موضعه إلى الشيخ الذى كان يجلس إلى جواره) لكن لا أعرف اسمه .

القاضى : كنت مشغولا معه بالحديث عن قضيتك وعن المحكمة ؟

مظلوم : أبداً . كنا نتحدث فى مسألة الكلاب التى تعض والكلاب التى لا تعض (يضج الجمهور بالضحك) .

القاضى : وفى أى مكان كان هذا الحديث ؟ . . . هنا فى المحكمة ؟

مظلوم : طبعاً فى المحكمة .

القاضى : اعتدل اتتعابط فى المحكمة ؟ ! افهم أنك فى المحكمة . . .

مظلوم : فاهم . ولكن فى الأول لم أستطع أن أعرف أن هذه الحجرة محكمة .

القاضى : إذن ماذا تكون ؟ سوق ؟ قهوة ؟ وكالة ؟

مظلوم : عمى الشيخ قال لى إنها محكمة ، وأنا قلت له أتكون محكمة الكلاب التى لا تعض (يضج الجمهور بالضحك) .

القاضى : أنت مجنون .

مظلوم : أنا مظلوم .

القاضى : مظلوم ولا مغموم .

مظلوم : الحقيقة أنا مظلوم ولكن حضرة الكاتب جعلنى مغمومًا وحراميًا أيضًا .

القاضى : يعنى أنت لست حراميًا ؟

مظلوم : ولا مغمومًا . . .

القاضى : إذن ماذا تكون . ولماذا جاءوا بك إلى هنا .

مظلوم : هذا ما أريد أن أعرفه من سعادتك .

القاضى : (يعنف) قف معتدلا . وانته من الكلام الفارغ وإلا وضعتك فى القفص . . .

مظلوم : القفص ؟ !

القاضى : (يقرأ التهمة) لأنه يأوى كلبًا بدون ترخيص ، ودون اتخاذ الاحتياط اللازم مما أدى إلى إصابة البنت دلوعة عثمان . بجرح فوق الركبة . دفاعك ؟ كلامك ؟

مظلوم : كلامى أنا .

القاضى : نعم كلامك فى الشهود الذين شهدوا ضدك .

مظلوم : جيرانى ، وكلهم طيبون .

القاضى : يعنى أنت معترف بالجريمة .

مظلوم : أظن أن هذا أحسن الحلول .

القاضى : وهناك حلول أخرى ؟

مظلوم : يا سعادة القاضى ليس عندى كلب ، ولا كلبى عض أحداً لا بنتاً ولا ولداً ، لى صديق ألح على فى أن يهدى إلى كلباً ورأيت من باب الاحتياط ، وقبل وصول الكلب أن أضع فى حديقة منزلى لوحة مكتوباً عليها « احترس من الكلب » . بمجرد وضعها جيرانى تصوروا أن الكلب جاء بالفعل ، رأوه ، بعضهم فرح به ، بعضهم خاف ، والبعض الآخر أراد أن يأخذ من أولاده جرواً ، وأناس لم يذوقوا طعم النوم من نباحه . . . قلت لهم وحلفت أغلظ الأيمان ليس عندى كلب . . . الكلب لم يحضر ، لم أنل شرف مجيئه ، ولكن كأنى أؤذن فى مالطة . وأخيراً ادعى أبو دلوعة أن كلبى عضها ، وزارنى واصطلحنا ، ثم بلغ ضدى . عم الشيخ قال لى لوكان عندك كلب عضوض ، لما جرؤ أحد على التبليغ ضدك . والظاهر أن هذا الكلام صحيح !

القاضى : (للعسكرى) يا عسكرى امسكه .

(فى هذه اللحظة يدخل غراب ومعه برقية ويحاول شق طريقه إلى منصة القاضى) .

القاضى : من أنت ؟

غراب : أنا غراب . . .

القاضى : غراب ؟!

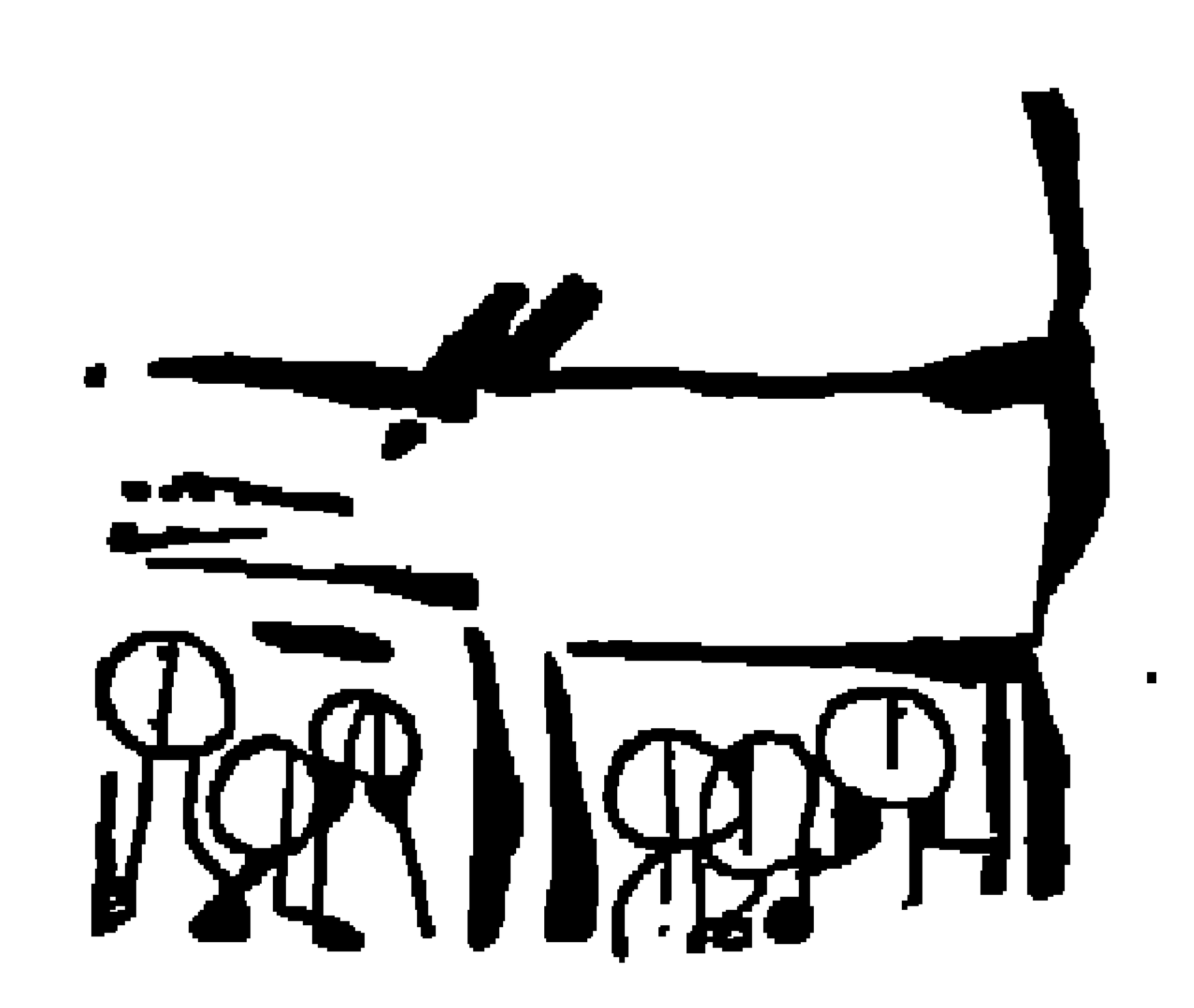
غراب : أنا صاحب المتهم ، صاحب مظلوم . . .

القاضى : أنت فاهم أنك فى وكالة من غير بواب . من آذنلك تقاطع المحكمة .

غراب : يا أفندم أنا تسلمت الآن برقية مهمة فى القضية .
مظلوم : برقية . أية برقية يا غراب ؟
غراب : الكلب مات .
(جمع الشهود والشيخ والحاجب ومظلوم معهم) : مات !
القاضى : مات .
الشهود مرة أخرى مات ؟ !
القاضى : وأين الدليل على أن هذا الكلب ، هو الكلب الذى تسبب فى الحادث موضوع المحاكمة .
غراب : يا سعادة البيه ، مظلوم ليس عنده كلب ، وما أراد يوماً أن يكون عنده كلب ، ولقد بقيت سنين وأعواماً ألح عليه فى أن يقتنى كلباً ، وأخيراً ضعف أمام إلحاحى ، ولما علم بأن الكلب سيشحن من أرمنت إلى مصر ، صنع لوحة وكتب عليها « احترس من الكلب » شأنه فى كل الأمور . حريص على مصلحة الناس ، وعلى أداء واجبه .
جيرانه بمجرد قراءة اللوحة ، رأوا الكلب ، وخافوا ، وبلغوا ضد صديقى .
القاض : هذه الحكاية سبق أن سمعناها .
غراب : والحكاية صحيحة . . .
القاضى : واسمك ؟
غراب : اسمى غراب .
القاضى : (يبتسم) . يبقى مفهول . اسمع يا غراب لا تهدى إلى أصدقاءك بعد اليوم هذه الأفكار النيرة . وأنت يا متهم .
مظلوم : أفندم .
القاضى : هذه المرة سنستعمل معك الرأفة .

مظلوم : الله يعمر بيتك .
القاضى : سنحكم عليك بغرامة فقط .
مظلوم : فقط .
القاضى : ولكن كمم كلبك .
مظلوم : حاضر .
القاضى : واحبسه .
مظلوم : حاضر .
القاضى : فاهم .
مظلوم : فاهم .
القاضى : ما الذى فهمته ؟
مظلوم : فهمت أن حضرتك استعملت معى الرأفة وحكمت على بغرامة لأن الكلب لم يصل إلى ولأنه مات فى الطريق ولأنه لم يعض أحداً . . . فهمت تماماً الله يعمر بيتك .

(ستار)



تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧٠/١٧١٣
مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧١



عــدد خــاص

عن الموسـيقار

محمد عبد الوهاب

للأستاذ محمود عوض

دار المعارف بمصر

تقدم هذه المجموعة من روائع القصص العالمية المترجمة

- صورة دور يان جراى — تأليف اوسكار وايلد ترجمة الدكتور لويس عوض
- جوستين (الرواية الأولى من رباعية الإسكندرية)
  تأليف لورنس داريل ترجمة الأستاذ فخرى لبيب
- الضياع — بقلم جراهام جرين ترجمة السيدة صوفى عبد الله
- كبرياء وهوى — للكاتبة الإنجليزية جين أوستن ترجمة الأستاذ نبيل حلمى
- العذراء والغجرى والمرأة التى جمحت
  تأليف (هـ . لورانس ترجمة الأستاذ زغلول فهمى
- ذوبان الثلوج — تأليف إيليا اهرنبورج ترجمة الأستاذ سعد زهران
- جريتا — تأليف ارسكين كالدويل ترجمة الأستاذ محمد بدر الدين خليل
- نساء صغيرات (٤ أجزاء) — تأليف لويزا الكوت ترجمة السيدة أمينة السعيد
- للحب وقت وللموت وقت — تأليف اريك ماريا ريمارك ترجمة الأستاذ سمير التنداوى